# تجليات الدهر في ديوان أسامة بن منقذ

**دكتورة/ نادية بنت حسن ضيف الله الصاعدي**
**أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية**
**الكلية الجامعية بالليث- جامعة أم القرى**
**المملكة العربية السعودية**

**الملخص:**

يعدُّ الدهر محورًا مهمًّا من المحاور التي دار حولها الشعر منذ العصر الجاهلي، وكان له حضور جلي في الشعر العربي، وله أثره في إبداع الشعراء ورسم صور متنوّعة وبديعة تعكس أثره الفاعل في نفوس الشعراء، وقد سعت الدراسة الحالية إلى بيان تجليات الدهر في ديوان أسامة بن منقذ، وبيان المؤثرات العامة والخاصة التي أثرت في حياته، ودراسة أثرها في تجربته الشعرية، وبيان أثرها الفني في تجليات صورة الدهر لدى الشاعر.

وقد تبيّن من خلال الدراسة أن للدهر وصروفه حضورًا كبيرًا ارتبط بالمؤثرات العامة والخاصة في حياة الشاعر، وتبيّن انعكاس الأثر النفسي لما يعانيه الشاعر من تقلّبات الدهر في معطيات إبداعه الشعري، وظهرت تجليات الدهر من خلال حديث الشاعر عن: سلطة الدهر، والفراق والغربة، والكبر والشيب، وموقف الشاعر من الدهر، كما برز الأثر الفني الجمالي في ديوان الشاعر، حيث رسم صورًا بديعة عكست خصوصيته الإبداعية في تصوير ما يعانيه نفسيًّا.

**الكلمات المفتاحية:** أسامة بن منقذ، الدهر، الفراق، الغربة، الشيب.

## "Manifestations of Time in The Diwan of Osama bin Munqidh"

**Abstract:**

Time is a prominent pivot around which poetry has revolved since the pre-Islamic era, it has had a clear presence in Arabic poetry and has had an impact on the creativity of poets, the drawing of diverse and beautiful images that reflect its effective impact on the souls of poets. The current study sought to discuss the manifestations of time in The Diwan of Osama bin Munqidh, clarify the general and specific influences that affected his life, study their impact on his poetic experience and clarify their artistic impact on the image manifestations of the time in the poet.

It showed that time and its vicissitudes had a great presence linked to the general and specific influences in the poet's life,the psychological impact of what the poet suffers from the fluctuations of time was reflected in the data of his poetic creativity, the manifestations of time appeared through the poet's talk about: The authority of the time, separation and alienation, old age and gray hair, the poet's position on time, as the artistic and aesthetic impact emerged in the poet's collection of poems, where he drew beautiful pictures that reflected his creative specificity in depicting what he suffers psychologically.

**Keywords:** Osama bin Munqidh - The Time - Separation - Alienation - Gray Hair.

**المقدمة:**

يعدُّ الدهر محورًا مهمًّا من المحاور التي دار حولها الشعر منذ العصر الجاهلي، وكان له حضور جلي في الشعر العربي، وله أثره في إبداع الشعراء ورسم صور متنوّعة وبديعة تعكس أثره الفاعل في نفوس الشعراء.

**أهمية الموضوع وأهداف الدراسة:**

وبالنظر في ديوان أسامة بن منقذ، والاطلاع على المؤثرات العامة والخاصة التي أثرت في حياته، وظهرت في شعره؛ يتبيّن أن للدهر وصروفه حضورًا كبيرًا ارتبط بتلك المؤثرات، وجاء حديث الشاعر عن سلطة الدهر ودوره في تبدّل الحال، والفراق والغربة، والكبر والشيب، وموقف الشاعر من الدهر.

وتتناول الدراسة الحالية بيان تجليات الدهر وصروفه في شعر أسامة بن منقذ؛ لما له من أثر جلي في شخصيته وشعره، والمؤثرات العامة والخاصة التي أثرت في تجربته الشعرية، والأثر الفني للدهر في شعره وموقف الشاعر منه.

أما ما يختص بالمنهج المتبع، فقد اُعتمد استقراء شعر أسامة، والوقوف على الشواهد المناسبة وتحليلها؛ لبيان تجليات الدهر وأثره الفني في شعره، وقد تكوّن البحث من: مقدمة وتمهيد وفصلين بمباحثهما، ثم الخاتمة، وثبت المصادر والمراجع، وذلك على النحو الآتي:

- المقدمة.
- التمهيد: معنى الدهر.
- نظرة الإنسان إلى الدهر وأثره في الشخصية.
- الفصل الأول: مؤثرات الدهر التي شكّلت شعر أسامة بن منقذ:
- المبحث الأول: مؤثرات عامة.
- المبحث الثاني: مؤثرات خاصة.
- الفصل الثاني: تجليات الدهر وأثره الفني في ديوان أسامة بن منقذ:

المبحث الأول: سلطة الدهر.

المبحث الثاني: الدهر والفراق.

المبحث الثالث: الدهر والشاعر.

- الخاتمة وتتضمّن نتائج البحث.
- ثبت المصادر والمراجع.

**الدراسات السابقة:**

بالاطلاع على ما كُتب حول الشاعر أسامة بن منقذ؛ فلم تجد الباحثة – في حدود اطلاعها– دراسة مستقلة تناولت الدهر في ديوانه؛ ولكن هناك دراسات كثيرة تناولت شعره وأغراضه الشعرية ومؤلفاته من النواحي: الأسلوبية، والصرفية، والنحوية، والنقدية، ومنها:

- ثنائية المكان والحنين في شعر ابن منقذ في كتابه (المنازل والديار)، د.نادية عبد الرحمن محمد، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم جامعة المنيا، مج٢، العدد٤٠، ٢٠١٩.
- مؤثرات الزمان والمكان في أدب أسامة بن منقذ، راتب سكر، مجلة دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، مج٣٨، العدد ٧–٨ ،٢٠٠٣
- الصورة الفنية في شعر أسامة بن منقذ: الموضوعات والمجالات، نواف الحميدي الرشيدي، جامعة مؤتة رسالة ماجستير،٢٠١١.
- الشكوى في شعر أسامة بن منقذ، أشواق تريعة، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، مجلد ١١، العدد ١، ٢٠١٨.
- الزهد في شعر أسامة بن منقذ، أشواق تريعة، مجلة كلية الآداب واللغات جامعة بسكرة، مج ١٢، العدد ٢٥، ٢٠١٩.

**التمهيد:**

**معنى الدهر:**

"الْغَلَبَةُ وَالْقَهْرُ، وَسُمِّيَ الدَّهْرُ دَهْرًا؛ لِأَنَّهُ يَأْتِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَيَغْلِبُهُ. فَأَمَّا قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ»، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: مَعْنَاهُ أَنَّ الْعَرَبَ كَانُوا إِذَا أَصَابَتْهُمُ الْمَصَائِبُ قَالُوا: أَبَادَنَا الدَّهْرُ، وَأَتَى عَلَيْنَا الدَّهْرُ"(١).

وفي لسان العرب: "الدهر: الأمد الممدود، وقيل: الدهر ألف سنة"(٢). وقال أبو منصور: "الدَّهْرُ عِنْدَ الْعَرَبِ يَقَعُ عَلَى وَقْتِ الزَّمَانِ مِنَ الأَزْمِنة وَعَلَى مُدَّة الدُّنْيَا كُلِّهَا، قَالَ وَسَمِعْتُ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ الْعَرَبِ يَقُولُ: أَقمنا بِمَوْضِعِ كَذَا وَعَلَى مَاءِ كَذَا دَهْرًا، وَإِنَّ هَذَا الْبَلَدَ لَا يَحْمِلُنَا دَهْرًا طَوِيلًا، وَالزَّمَانُ يَقَعُ عَلَى الفَصْلِ مِنْ فُصُولِ السَّنَةِ، وَعَلَى مُدّة وِلَايَةِ الرجل وما أشبهه"(٣).

ومن هنا فالدهر مرتبط بالزمن، والزمن جزء منه، جاء في معنى الزمن: "زمن: الزَّمَنُ والزَّمانُ: اسْمٌ لِقَلِيلِ الْوَقْتِ وَكَثِيرِهِ"(٤)، وهناك ألفاظ أخرى تدلّ على الزمن منها: الليالي والأيام. أما ما يخص الألفاظ التي ارتبط ذكرها بالدهر، فهناك ألفاظ اتصلت وتعلق ذكرها بالدهر من جهة سلطته وقسوته، وهي من مظاهر الدهر وجنوده كـ: الخطوب والنوائب والصروف، وجاء في معناها: النّوائبُ: "جَمْعُ نائبة، وَهِيَ مَا يَنُوبُ الإِنسانَ: أَي يَنْزِلُ بِهِ مِنَ المُهِمّات والحَوادث، والنّائِبَةُ: المُصيبةُ، واحدةُ نوائبِ الدّهْرِ"(٥).

والخطب: "خطب: الخَطْبُ: الشَّأْنُ أَو الأَمْرُ، صَغُر أَو عَظُم، وَقِيلَ: هُوَ سَبَبُ الأَمْرِ، يُقَالُ: مَا خَطْبُك؟ أَي مَا أَمرُكَ؟ وتَقُولُ: هَذَا خَطْبٌ جليلٌ، وخَطْبٌ يَسير، والخَطْبُ: الأَمر الّذي تَقَع فِيهِ المخاطَبة، والشأْنُ والحالُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: جَلّ الخَطْبُ: أَي عَظُم الأَمرُ والشأْن(٦). وصروف الدهر "صرف الدهر: حدْثانُه ونَوائبُه، والصَّرْفُ: حدْثان الدَّهْرِ، اسْمٌ لَهُ لأَنه يَصْرِفُ الأَشياء عَنْ وجُوهها"(٧). فالدهر يُطلق على مدة الدنيا كلها والزمن أقصر منه، وجميع الدراسات الحديثة التي تحدثت عن الدهر عند الشعراء تبدأ ببيان معاني الدهر، وكلها تدور حول المعاني السابقة الذكر نفسها التي وردت عند القدماء (٨).

---

(١) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، "معجم مقاييس اللغة"، تحقيق وضبط عبد السلام هارون، (دار الفكر، ١٩٧٩م)، ٢: ٣٠٥.

(٢) محمد بن مكرم بن منظور، "لسان العرب"، تحقيق اليازجي وآخرون، (ط٣، دار صادر، ١٤١٤)، ٤: ٢٩٢.

(٣) ابن منظور، "لسان العرب"، ١٣: ١٩٩.

(٤) ابن منظور، "لسان العرب"، ١٣: ١٩٩.

(٥) ابن منظور، "لسان العرب"، ١: ٧٧٤.

(٦) ابن منظور، "لسان العرب"، ١: ٣٦٠.

(٧) ابن منظور، "لسان العرب"، ٩: ١٨٩.

(٨) من الدراسات الحديثة: يوسف غازي العتوم، "الدهر في شعر ابن زيدون: دراسة تحليلية"، جامعة اليرموك إربد، رسالة دكتوراه، (٢٠١٧م)؛ وحمزة عبد السلام سلام الختاتنة، "تجليات الدهر وصروفه في شعر الأعمى التطيلي"، *مجلة الدراسات اللغوية والأدبية الجامعة الإسلامية بماليزيا* ١٤، (٢٠٢٣م)؛ ومحمد عيسى الحوراني، "الدهر في شعر ابن الرومي: دراسة تحليلية"، (عمان –الأردن: دروب للنشر والتوزيع، ٢٠١٦).

- **نظرة الإنسان إلى الدهر وأثره في الشخصية:**

إن للإنسان منذ القدم نظرة خاصة للدهر، نظرة جاءت نتيجة تقلبات الدهر وأحداثه التي تصيب الإنسان، فالدهر هو المُتسلّط، وهو جالب المصائب والكوارث، لا خير يأتي معه إلا ويعقبه شر وحسرة وألم وحزن، فدوام الحال من المحال، ودوام الأفراح والسعادة – حتى في أقلها– من المستحيلات، ودائمًا ما يتغنى الشعراء بالدهر مصوّرين تقلّب الحال وعدم الاستقرار على حال واحدة.

وقد نظر الإنسان منذ القدم إلى الدهر ونقم منه وعليه، وقد أثر ذلك في شخصيته – خاصة الشعراء– وظهر أثر ذلك في شعرهم، فالدهر – بوصفه سلطة– ليس له قدرة على مقاومته؛ ولذلك ينسب الأحداث والمصائب وجميع ما يأتي به القدر من كوارث إليه لعجزه عن رد ذلك الفعل [١]، ومن ذلك قول امرئ القيس[٢]:

**أَلَمْ أُخْبِرْكَ أنّ الدّهْرَ غُولٌ ختُورُ العَهْدِ يَلْتَهِمُ الرّجَالا**

**أزَالَ مِنَ المَصَانِعِ ذا رِياشٍ وَقَدْ مَلَكَ السّهُولَةَ والجِبالا**

وهذا عنترة يصوّر فعل نوائب الدهر به فقد هذّبته وأحكمته وجعلته حكيمًا بصيرًا بالأمور، وزادت أن جعلته عالمًا بطريق الرشاد لا يزوغ عنه[٣]:

**حنكّتني نوائبُ الدهرِ حتى أوقفتني على طريقِ الرشادِ**

وصوّر عمرو بن قميئة نفسه وقد أصبح عُرضة للرماية الصائبة من بنات الدهر، حيث يوجه له الشدائد دون أن تكون هناك مقاومة منه، وهنا بيان لسلطة الدهر[٤]:

**رَمَتني بَناتُ الدَهرِ مِن حَيثُ لا أَرى فَكَيفَ بِمَن يُرمى وَلَيسَ بِرامِ**

**فَلَو أَنَّها نَبلٌ إِذًا لَاتَّقَيتُها وَلَكِنَّني أرمي بِغَيرِ سِهامِ**

وصوّر الشعراء منذ العصر الجاهلي دور الدهر في تقلّب الحال، ومن ذلك قول الأعشى حيث صوّر فساد الدهر لكل جميل في حياته [٥]:

**وَلَكِن أَرى الدَهرَ الَّذي هُوَ خاتِرٌ إِذا أَصلَحَت كَفّايَ عادَ فَأَفسَدا**

(١) من دراسات الدهر في الشعر الجاهلي: لارا عدنان ستيتي، "شكوى الدهر في أشعار جاهلية"، *مجلة جامعة تشرين سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية*٨ (٢٠١٣)؛ وموسى ربابعة، "البناء الاستعاري للدهر في الشعر الجاهلي"، الجامعة الأردنية، عمادة البحث العلمي، مج ٢٤، ملحق (١٩٩٧م).

(٢) امرؤ القيس، "ديوان امرئ القيس"، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط٤، القاهرة: دار المعارف): ٣٠٩.

(٣) "شرح ديوان عنترة الخطيب التبريزي"، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه مجيد طراد، (ط١، دار الكتاب العربي، ١٩٩٢م): ٦٠.

(٤) عمرو بن قميئة، "ديوان عمرو بن قميئة"، عني بتحقيقه وشرحه وعلق عليه حسن كامل الصيرفي، (١٩٦٥م): ٤٥.

(٥)ميمون بن قيس، "ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس"، شرح وتعليق د.محمد حسين، (القاهرة: مكتبة الآداب بالجماميز المطبعة النموذجية): ١٣٥.

**شَـــبابٌ وَشَـــيبٌ وَافتِقـــارٌ وَثَـــروَةٌ فَلِلَّـــهِ هَـــذا الـــدَهرُ كَيـــفَ تَـــرَدَّدا**

إن الحالة المتضادة في حياة الإنسان موجودة، والانتقال من مرحلة إلى مرحلة أدركها الإنسان؛ ولكن موقفه منها يختلف باختلاف الحالة المُتغيّرة، فالشيب مرحلة انتقالية لا يرغبها الإنسان؛ لأنها إيذان بمرحلة الكبر وما يصحبها من مرض ووهن، ومرحلة الانتقال من الغنى إلى الفقر كذلك مرحلة انتقالية غير مرغوبة، وعكسها الانتقال من الفقر إلى الغنى، وفعل الدهر بالإنسان ألا تستقر حالته على وتيرة واحدة – فرح أو حزن، سعادة أو شقاء– فحاله متبدّل ومتقلّب، لا يُبقى أحدًا على حاله، يقول زهير(١):

**يـــا دَهـــرُ قَـــد أَكثَـــرتَ فَجعَتَنـــا بِـــسَراتِنا وَقَرَعـــتَ فـــي العَظـــمِ**

**وَسَـــلَبتَنا مـــا لَـــستَ مُعقِبَـــهُ يـــا دَهـــرُ مـــا أَنـــصَفتَ فـــي الحُكـــمِ**

وهذه الخنساء قد اكتوت بصروف الدهر ونوائبه، وجاءت بمعانٍ قد تردّدت في شعر القدماء، فالدهر شخص يجيد الرمي، ورميه لا يطيش أبدًا، تقول (٢):

**أَرى الدَهرَ يَرمـــي مـــا تَطـــيشُ سِـــهامُهُ وَلَـــيسَ لِمَـــن قَـــد غالَـــهُ الـــدَهرُ مَرجِـــعُ**

وجاء تصوير الدهر وتشخيصه مرتبطًا بما في نفس الشاعر، حيث جعل للدهر فاعلية وسلطة، وليس له أمام هذه القوة إلا الاستسلام للحدث أو الصبر على ما يقع عليه؛ ومن ثمّ صوّر الشعراء ذلك وعرضوا موقفهم من الدهر ونصائحهم التي تمخّضت عن تجاربهم في الحياة. وبعد ظهور الإسلام تغيّر كثير من المعتقدات والمفاهيم التي تتنافى مع تعاليم الدين الإسلامي على مر العصور؛ فجاءت أشعار العرب معبرة عن الدهر، مصوّرة لصروفه وخطوبه ونوائبه وسلطته، وموقفهم منه، مع إيمانهم بالقدر خيره وشره، وأن الرضا بالابتلاء والصبر عليه محتّم على المسلم الموقن بقضاء الله وقدره، وأن "القوة الغيبية الفاعلة في هذا الكون؛ هي قوة الله القدير، وأن ما سواه مخلوق مؤتمر بأمره، خاضع لإرادته"(٣).

ومن الطبيعي ألا يخلو أغلب إبداع الشعراء من الإشارة إلى الدهر، فهناك من أبدع منهم في رسم صورته، وما يعانيه منه في حياته، حيث وصفوه بالغدر والخيانة والظلم وغير ذلك من الأوصاف التي تدلّ على الدهر السلبي. وكثير منهم شكوا منه واصفين

(١) زهير بن أبي سلمى، "ديوان زهير بن أبي سلمى"، شرحه وقدّم له علي حسن فاعور، (بيروت– لبنان: دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م): ١٢٣.
(٢) الخنساء، "ديوان الخنساء"، شرحه ثعلب أبو العباس أحمد بن يحيى الشيباني النحوي، حقّقه د.أنور أبو سويلم، (دار عمار، ١٩٨٨م): ٣١٨.
(٣) محمد عيسى الحوراني، "الدهر في شعر ابن الرومي"، (عمان – الأردن: دروب للنشر والتوزيع، الطبعة العربية، ٢٠١٦م): ٢١.

فعله، مُشخّصين له في صور عديدة عكست أثره في نفوسهم، وما أحدثه من ألم وحزن وحسرة جراء ما أصابهم من كوارث ومصائب، فهذا الشاعر العباسي ابن الرومي يقول(١):

**إذا ما كساكَ اللَّه سربالَ صحةٍ ولم تخلُ من قوتٍ يَحِلُّ ويَعذُبُ**

**فلا تَغْبِطنَّ المترفينَ فإنهم على قدْرِ ما يكسوهُمُ الدهرُ يَسْلُبُ**

وفي بيان أثر الدهر وصروفه في فراق الأحبة وكيف تعوّد على مواجهة ذلك بالصبر الجميل، حيث "عد الشعراء صروف الدهر ذات دلالة رئيسة على تغييرات الدهر السيئة وتبدل أحداثه"[٢] يقول ابن الرومي [٣]:

**ولما رأيتُ الدهرَ يؤذنُ صرفُهُ بتفريقِ ما بيني وبينَ الحبائبِ**

**رجعتُ إلى نفسِي فوطنتُها على ركوبِ جميلِ الصبرِ عندَ النوائبِ**

وقد اعتاد العرب أن ينسبوا إلى" الدهر من الفاعلية ما حفر معلمًا بارزًا في مجمل شعرهم، إن لم يكن في كله، فصحّ بذلك أن يُطلق على هذا المعنى من الدهر اسم المعنى الشعري...وعلى هذا يكون المعنى الشعري للدهر هو: النظر إليه قوة زمنية ضاغطة، من أهم سماتها الفاعلية والتغيير"[٤]، وجاء معبرًا بذلك في شعر شعرائها، دالًّا على فعل الدهر وصروفه وتعرّضهم للخطوب والنوائب.

(١) ابن الرومي، "ديوان ابن الرومي"، تحقيق حسين نصار، (ط٣، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠٠٣م)، ١: ١٨٧.

(٢) حمزة عبد السلام سلام الختاتنة، "تجليات الدهر وصروفه في شعر الأعمى التطيلي"، *مجلة الجامعة الإسلامية بماليزيا*٢، (٢٠٢٣م): ٢٠٤.

(٣) ابن الرومي، "ديوان ابن الرومي"، ١: ٣٥٢.

(٤) لؤي علي خليل، "الدهر في الشعر الأندلسي (من المحتوى العقدي إلى البنية الشعرية): دراسة في تحوّل المعنى"، جامعة الكويت، *حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية*٢٦، الرسالة ٢٣٩، (٢٠٠٥م): ٢٢.

**الفصل الأول: المؤثرات التي تشكّل منها شعر الدهر في ديوان أسامة بن منقذ:**

أسامة بن منقذ: هو أبو المظفر مؤيَّد الدولة، أسامة بن مُرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ، عربي كناني (٤٨٨-٥٨٤هـ/ ١٠٩٥-١١٨٨م)، وُلد يوم الأحد ٢٧ جمادى الآخرة سنة ٤٨٨هـ في مدينة شيزر، لأب صالح ومن أسرة توارثت إمارة شيزر، من أمراء بني منقذ، وهم أسرة مجيدة، اشتهر كثير من رجالها بالفروسية والشعر والأدب، حكمت شيزر وما جاورها مدة من الزمن. وشيزر مدينة في الشمال الغربي من حماة، يحيط بها نهر العاصي من جهات ثلاث، وتقع على الهضبة قربها قلعة شيزر التي كان لها أهميتها الحربية على مرّ العصور.

كان مقربًا من عمه أبي العساكر حاكم شيزر، الذي لم يُرزق حينها بأبناء، واشترك معه في خوض المعارك وكان يتولى أمورًا تتطلّب شجاعة وقوة، ثم تبدّل الحال بأسامة بعد أن تغيّر عليه عمه أبو العساكر حين رُزق بأبناء؛ خوفًا على ذهاب ملكه إلى أسامة وضياع أبنائه من بعده.

وقد غادر أسامة إلى الموصل واتصل بحاكمها عماد الدين زنكي، وشارك في الحروب الصليبية، وأصبح من أبطالها، ثم عاد إلى شيزر دفاعًا عنها عندما هاجمها الفرنج الروم سنة ٥٣٣هـ؛ لكن عمه طلب منه ومن إخوته الرحيل فتشتتوا وتفرّقوا في البلاد، وخرج إلى دمشق واتصل بحاكمها معين الدين، وقد أصاب شيزر الزلزال بعد خروجهم منها وقضى على ملك بني منقذ وأهله سنة ٥٥٢هـ.

وانتقل بعد ذلك إلى مصر فبقي بها وعاش في رغد من العيش، وشارك في الأحداث السياسية المصرية، ثم عاد إلى الشام وسكن دمشق، ورماه الزمان إلى حصن كيفا، فأقام به حتى ملك السلطان صلاح الدين -رحمه الله تعالى - دمشق، فاستدعاه وهو شيخ قد جاوز الثمانين، وعاش في دمشق آخر حياته حتى عمّر طويلًا وبلغ التسعين من العمر، توفي سنة ٥٨٤هـ[1]. وقد ظهرت جميع الأحداث السابقة في شعره ووظّفها توظيفًا كشف عن أثرها في نفسه.

ومما سبق؛ يتبيّن أن هناك مؤثرات عامة وخاصة أثرت في شعر أسامة بن منقذ، وتفصيلها كما يأتي:

(١) ينظر: أسامة بن منقذ، "ديوان أسامة بن منقذ": حقّقه وقدم له د.أحمد أحمد بدوي، وحامد عبد المجيد (ط٢، عالم الكتب، ١٩٨٣م): ٥؛ وابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء أهل الزمان، حققه د.إحسان عباس، (بيروت: دار صادر): ١: ١٩٥؛ وصلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق واعتناء أحمد الأرناؤوط وآخرون، (ط١، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٠م): ٨: ٢٤٥.

عاش أسامة بن منقذ حياة طويلة خاض خلالها تجارب عديدة؛ ومن هنا فقد كان للمؤثرات العامة والخاصة أثر واضح في شعره، وتفصيل كالآتي:

**المبحث الأول: المؤثرات العامة:**

ويُمثّلها الوضع السياسي الذي عاشه أسامة بن منقذ، حيث كان للأحداث والمعارك التي خاضها أثر في نفسه، فقد وُلد لأسرة توارثت إمارة شيزر، وتلقى من التعليم والتدريب على الصيد وخوض المعارك ما مكّنه من صقل شخصيته، وكان أسامة قريبًا من كرسي الملك ومن عمه أبي العساكر حاكم شيزر، خاصة أنه لم يُرزق بأبناء في مقتبل عمره؛ مما جعله يعتمد على أسامة ويُقرّبه منه ويتخذه سندًا له، وكان أسامة جديرًا بهذه المنزلة، ومضى مخلصًا لعمّه ولملك أسرته يدبّر أمور البلاد ويخوض المعارك؛ دفاعًا عن وطنه وقومه وشارك في المعارك ضد الصليبيين.

ولكن بدأت نقطة التغيير في حياة أسامة حين رُزق عمه بأبناء، حيث خاف عمه من زوال ملكه، خاصة أن أسامة قريب منه وقد يستحوذ على الملك بعده؛ نظرًا لما يتمتّع به من صفات قيادية وخبرة وشجاعة؛ ومن ثمّ دبّ الحقد والحسد بينهما، إضافة إلى دور الوشاية والحسّاد في إثارة الفتنة بينهما. وكتب أسامة إلى أبيه يحدثه عما يختلج في صدره من هموم وحزن؛ حتى يوافقه على رحيله من شيزر، وعزم أسامة على الانتقال إلى دمشق؛ لأن نفسه لم تقبل بالإهانة والبُعد وهو المقرب القريب، فنفسه الأبية لم ترض الذل والهوان، يقول(١):

**أشكُو إلى عَلياكَ هَمًّا ضَاقَ عَن ... كِتمانِه صَدرِي وما هو ضَيِّقُ**

**وطوارِقًا للهمّ أقْريها الكَرَى ... وتَلُظُّ بي صُبحًا فما تَتَفَرَّقُ**

**لو لم أُمَنِّ النّفسَ أنَّكَ كاشفٌ ... كُرباتِهَا عَنْها لكادتْ تَزهَقُ**

**أنا عائذٌ بك من عُقوقٍ مُحبطٍ ... عَملي فَعِصياني لأمرِكَ مُوبِقُ**

**لا تُلزِمَنِّي بالهَوانِ وحَمِلِهِ ... إنَّ احتمالَ الهُونِ ثِقْلٌ مُرهِقُ**

**دَعني وقَطعَ الأرضِ دُونَ مَعاشِرٍ ... كُلٌّ عليَّ لِغيرِ جُرمٍ مُحنَقُ**

ورحل إلى دمشق وشارك في عدة معارك مع عماد الدين زنكي؛ ولكن سرعان ما عاد إلى شيزر للدفاع عن وطنه ضد الفرنج سنة ٥٣٣هـ. وهذه الأحداث والانتقال

(١) أسامة بن منقذ، "ديوان أسامة بن منقذ": ١٧٧.

والعودة أثرت في نفس أسامة وشخصه، ولعل حبه لموطنه جعله يقرر البقاء فيه؛ لكن عمه مازال يخافه ويحذر منه؛ فأمره وإخوته بالرحيل حين رأى رغبته في المكوث بموطنه، فتفرّقوا وخرج أسامة إلى دمشق، وكان ذلك قبل وقوع الزلزال بمدينة شيزر سنة ٥٥٢هـ، الذي قضى على بني منقذ وزال بذلك ملكهم. وكان لهذه الأحداث أثر جلي في نفس أسامة ومن ثم انعكست على أشعاره.

وكان موقفه من دمشق حين نبت به، كموقفه من وطنه الأول، فارقها غير راضٍ باحتمال الهوان[١]. ولم تقف الحال بأسامة عند دمشق، فقد انتقل منها إلى مصر وعاصر الأحداث السياسية وتقلّبات الزمن، التي صورها في قوله[٢]:

**خمسونَ من عُمري مضتْ لم أَتَّعِظْ فيها كأنِي كُنتُ عنها غَائِبَا**

**لم أنْتَفِعْ بتجَارِبِي فيها عَلى أنّي لقيتُ من الزّمانِ عَجائِبَا**

**وأتَتْ عليَّ بمصرَ عَشْرٌ بعدَها كانت عِظَاتٍ كلُّها وتَجارِبَا**

**شاهدتُ من لَعِبِ الزمانِ بأهلِهِ وتَقلُّبِ الدُّنيا الرّقُوبِ عَجائِبَا**

نال أسامة في مصر من المال والمجد ما كان يصبو إليه، وكوّن ثروته التي ذهب بعضها في أعقاب حوادث مقتل الظاهر، وذهب بعضها الآخر في أثناء خروجه من مصر. ونتيجة للظروف التي مرت به، حيث اُتهم بالمشاركة في مقتل الظافر وكان بريئًا منها؛ لذا رأى أن يعود إلى دمشق مع بقية من عشيرته؛ لكن المآسي مازالت تلحق به، فقد تعرّضت السفينة إلى عطب قرب عكا، ونهب الفرنج متاعهم وجميع ممتلكاتهم التي كانت بحوزتهم. ووصل أسامة مع عشيرته إلى دمشق فاقدين جميع متاعهم.

وهذه الأزمات السياسية التي عاشها أسامة بمصر كان لها أثر نفسي بالغ؛ إذ واجه ظروفًا قاسية أجبرته على تغيير المكان والرحيل منه [٣]:

**نِلتُ في مصرَ كلَّ ما يرتجِي الآ مِلُ مِن رِفْعةٍ ومالٍ وجَاهِ**

**فاستردّتْ ما خوّلَتْني وما أَسْ رَعَ نقْصَ الأمورِ عند التَّناهِي**

**كنتُ فيهَا كأَنّني في مَنَامٍ زالَ مِنهُ ما سَرَّ عند اُنْتِبَاهِي**

(١) أسامة بن منقذ، "ديوان أسامة بن منقذ": ١٩.

(٢) أسامة بن منقذ، "ديوان أسامة بن منقذ": ٣١٥.

(٣) أسامة بن منقذ، "ديوان أسامة بن منقذ": ص٣١٣.

وحاول الملك الصالح إعادته إلى مصر وكان أسامة يتمنّى؛ لكنه فضّل البقاء في دمشق، وكان اتصاله بالملك الصالح مستمرًا والرسائل بينهم متبادلة، كما كان يرسل إليه الملك الصاح الخيرات والعطايا، وكان أسامة يشكو إليه ما يجده من تقلبات الدهر، ومنها قوله[1]:

**يأيها الملكُ الموفِي بِذِمَّتِهِ ومن تَجلَّى عن الدُّنيا به السَّدَفُ**

**إليكَ يا عادلًا في حكمِه وعلى أمواله من قضايَا جُوده الجَنَفُ**

**أشكُو زَمانًا قضَى بالجَورِ فيَّ ولم يَزَلْ يجورُ على مِثلي ويَعتسفُ**

وعاش بقية حياته فيها متصلًا بنور الدين محمود وصلاح الدين، وأصبح شيخًا كبيرًا يشكو الكبر وثقل الحياة، وأثر صروف الدهر ونوائبه وخطوبه في هذ التقلّب والتحوّل.

**المبحث الثاني: المؤثرات الخاصة:**

تعد الأمور الشخصية التي تتصل بذات النفس الإنسانية مباشرة أكثر أثرًا وأشد تأثيرًا في صاحبها، فالمؤثرات الخاصة هي التي تتعلّق بحياة الإنسان ذاته وتتصل بأحبته وموطنه. ويظهر أثر هذه المؤثرات الخاصة في شخصية الإنسان ومشاعره حزنًا وفرحًا سعادة وشقاء، كما تظهر فيما ينتجه من نتاج فكري خاص به، فهذا أسامة بن منقذ تعرّض لعدد من المؤثرات الخاصة التي عانى منها خلال حياته وظهرت جليًّا في شعره ونتاجه الفكري، وتتمثّل هذه المؤثرات في عدة محاور، وهي: الفراق والغربة، والزلازل والفقد، والكبر والشيب.

**الفراق والغربة:**

عاش أسامة حياة مؤلمة، وعانى خلالها أنواعًا من الألم: ألم الفراق فقد فارق أحبته ووطنه بعد أن خرج من موطنه وكان في ذلك كسر لقلبه المحب لوطنه، ومنها ألم الغربة والعيش بعيدًا وحيدًا عن وطنه وأهله. وقد أُجبر أسامة على حياة الغربة والفراق لموطنه وأهله حين اختارها بدلًا من حياة الذل والهوان بعد تغيّر عمه عليه، ثم إخراجه منها بعد حنينه وعودته إليها؛ فزاد ذلك من ألم الفراق والغربة الجبرية عن موطنه وأهله.

وهذه المؤثرات أحدثت في نفسه أثرًا بالغًا، فما تتميّز به شخصيته من إحساس مرهف ومشاعر رقيقة ظهر في كتاباته حين حديثه عن فراق الأحبة، فقد كانت "سيرة حياة الشاعر "أسامة بن منقذ" سيرة الموت الخاطف واللامع في الأفق بالتمام والكمال وتجلى ذلك في مرثياته لابنة شقيقه، وابنه "بكر" وأهله حين داهمتهم الزلازل، وديياره التي أصبحت أطلالاً وبقايا آثار ودمن."[2]

(١) أسامة بن منقذ، "ديوان أسامة بن منقذ": ص٢٣٠.

(٢) أشواق تريعة، "الرثاء في شعر أسامة بن منقذ"، *مجلة البدر بجامعة بشار*٩، (٢٠١٨م): ١١٣٤.

لقد اجتمع في حياة أسامة ألم الفراق وألم الغربة، وتشكّل منهما نظرته إلى الحياة وثقلها، والغربة التي عاشها، وتنقّله من شيزر إلى دمشق ثم مصر ثم دمشق؛ تدلّ على أنها مؤلمة وتعكس عدم استقراره.

**الزلزال والفقد:**

يؤثر الفقد في النفس الإنسانية ويظهر عليها خارجيًّا وداخليًّا في: الحزن والألم والخوف والحسرة والعزلة والمرض، ويزيد من هذا الأثر الحنين والذكرى لهم، لقد عانى أسامة من الفقد (الموت)، وفقد (الوطن)، وفقد ( الثروة)؛ مما أثرّ في حياته، وقد وقع الزلزال بشيرز وكان أسامة خارجها، فسلم ومن معه من الزلزال والموت؛ ولكن ذهب موطنه وذهب ملك آل منقذ، وعبر عن هذه الفاجعة في كتابه (المنازل والديار)، حيث عرض في مقدمة الكتاب السبب الذي دعاه إلى تأليفه، فقال: "فإني دعاني إلى جمع هذا الكتاب ما نال بلادي وأوطاني من الخراب؛ فإن الزمان جرّ عليها ذيله، وصرف إلى تعفيتها حوله حيله، فأصبحت "كأن لم تغن بالأمس" موحشة العرصات بعد الأنس، قد دثر عمرانها، وهلك سكانها، فعادت مغانيها رسومًا، والمسرات بها حسرات وهمومًا، ولقد وقفت عليها بعدما أصابها من الزلازل ما أصابها، وهي "أول أرض مسّ جلدي ترابها"، فما عرفت داري، ولا دور والدي وإخوتي، ولا دور أعمامي وبني عمي وأسرتي؛ فبُهت متحيرًا مستعيذًا بالله من عظيم بلائه، وانتزاع ما خوّله من نعمائه"(١).

وعبّر عن عِظم مصيبته بقوله: "وقد عظُمت الرزية حتى غاضت بوادر الدموع، وتتابعت الزفرات حتى أقامت حنايا الضلوع، وما اقتصرت حوادث الزمان على خراب الديار دون هلاك السكان؛ بل كان هلاكهم أجمع، كارتداد الطرف أو أسرع، ثم استمرت النكبات تترى، من ذلك الحين وهلمّ جرا؛ فاسترحت إلى جمع هذا الكتاب"(٢).

كما كان لفقد الأموال الذي "نُهب بعضها عقب الحوادث التي جرت بعد مقتل الظافر، وغرق بعضها في البحر عند خروج أسرته من مصر –أثره البالغ من نفسه، وأثره القوي في شعره"(٣)؛ فقد ذهبت مع ذهاب شبابه وقوته، ذهبت في وقت لا يقوى على جمعها مرة أخرى، مع ما يعانيه من ألم على ضياع المال والعمر. إن إحساس الشاعر بضياع ثروته وقبلها فقد وطنه وأحبته – رغم مواجهته للصعاب وتنقّله من أرض لأرض– زاد عليه من الهموم والحسرة، والألم والحزن، فكان أن اتجه الشاعر إلى تأمل حاله وتقلّباته، وصروف دهره وخطوبه، وتذكر لماضيه.

(١) أسامة بن منقذ، "المنازل والديار"، (ط١، دمشق: المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، ١٩٦٥م): ١: ٣.

(٢) أسامة بن منقذ، "المنازل والديار": ٣:١.

(٣) أسامة بن منقذ، "ديوانه": ٢١.

**الشيب والكبر:**

إن مرحلة الشيب والكبر من أبرز المؤثرات في حياة الشعراء، التي ظهر أثرها في شعرهم، فمرحلة الشباب مرحلة تعلّق بها الشعراء، وقارنوا بينها وبين مرحلة الشيب، التي كانت باعثًا لقريحتهم ومجالًا لإبداعهم. وللشيب تأثير سلبي في حياة الإنسان؛ "ذلك لأنه السبيل الذي يؤدي إلى الموت، فحينما يشيب المرء يكون مدركًا أنه يسير في طريق تكون نهايته مقفلة بالموت الذي ينتظره"(١). أضف إليها الأعراض المصاحبة للشيب وتقدّم العمر من وهن البدن، وانحناء الظهر، وتقارب الخطى، وضعف البصر، وملازمة البيت، وثقل الكلام والسمع، وغيرها من أعراض بدايتها ظهور الشيب وانتشاره في مفرقي الرأس.

وقد صوّر الشعراء حالة الكبر والشيب وما يصحبهما من أعراض تظهر تدريجيًّا على جسم الإنسان، وأبدعوا في تصوير ذلك كما أبدع شاعرنا أسامة بن منقذ في حديثه عن الشيب والشباب فقال (٢):

**أيرجعُ لي شرخُ الشبابِ وعصرُه وكيفَ رجوعُ اللّيلِ قَد لاحَ فَجرُهُ**

**رداءٌ قشيبٌ حالَ حالكُ لونِهِ وأنْهَجَهُ طيُّ الزّمان ونَشْرُهُ**

**وكنتُ به كلَّ الضّنينِ فبزَّهُ الـ مشيبُ فَويحَ الشّيبِ لاَ دَرّ دَرُّهُ**

كان الشيب من المؤثرات التي أثرت في نفس أسامة وظهرت في شعره، خاصة أنه عمّر حتى بلغ فوق التسعين عامًا، و"لما علت سن أسامة، ووهن منه العظم، أخذ يشكو طول العمر، وثقل الحياة عليه، فحيناً يجد في الموت أعظم راحة تنقذه، وحيناً تنهال عليه ذكريات شبابه وصباه، ويوازن بين ضعفه اليوم، وقوته في عهده السالف"(٣).

لقد عانى الشاعر من أعراض الكِبَر وآلامها وصوّرها في شعره، وكانت مصدر تأمل للشاعر في حاله وتذكّره لمرحلة الشباب وقوته وفروسيته التي يفتقدها ويحنّ إلى أيامها التي تعكس حبه للحياة ووطنه وما بذله خلال مسيرة شبابه من أعمال وجهود لوطنه وأهله، وجعل ما يعانيه نتيجة سلطة الدهر وصروفه (٤):

**يقولون جارَ عليك المشيبُ ومَن ذا يُجيرُ إذا الشيبُ جَارَا**

**وما كنتُ مغتبطاً بالشّبابِ وهل كان إلاّ رِداءً مُعارَا**

(١) ثائر سمير الشمري، "الشيب في الشعر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري"، (ط١، مؤسسة دار الصادق الثقافية، ٢٠١٤م): ١٨.

(٢) أسامة بن منقذ، "ديوانه": ٦٦.

(٣) أسامة بن منقذ، "ديوانه": ٢٣.

(٤) أسامة بن منقذ، "ديوانه": ٣١٨.

**الفصل الثاني: تجليات الدهر في ديوان أسامة بن منقذ**

**المبحث الأول: سلطة الدهر:**

عبّر الشعراء عن سلطة الدهر وسطوته عليهم، ودوره في تبدل الحال وتغيّر حياتهم، وقد أبدع الشعراء في تصوير ذلك ببيان ما يختلج في نفوسهم من مشاعر جاءت نتيجة صروف الدهر وتقلّباته، التي أثرت في نفوسهم، واستهلكت طاقاتهم النفسية، وانعكس ذلك على مشاعرهم وشخصياتهم وظهر هذا الأثر في شعرهم. وتوالت صروف الدهر ونوائبه على الشاعر حتى أصبح لا يأمن شره ومصابه وغدره؛ وبهذا تظهر سلطة الدهر وسطوته التي أسندها الإنسان له حين وقف عاجزًا عن صدّه أو مواجهته.

وذاق أسامة مرارة الدهر وتقلّب الحال إثر المؤثرات الخاصة والعامة التي مرّ بها، وأثرت في مجرى حياته، حيث "كانت حياة أسامة بن منقذ إثر نفيه من ربوع شيزر شاقة وأليمة؛ فقد عانى الكثير ليثبت وجوده بعيدًا عن وطنه وأهله" [(١)]. وجاء تصويره للدهر وصروفه كغيره من الشعراء الذين سبقوه، متحدثًا عن قوة الدهر وسطوته، ودوره في الأحداث والمصائب التي تلحق بالإنسان، منطلقًا من طبيعة الإنسان ونظرته إلى الدهر، ونِسبة فاعلية تلك الأحداث والمصائب والخطوب إلى الدهر، التي يؤمن أنها قدر من الله ﷻ لكن تلك القوى التي لا يستطيع مواجهتها أو ردها؛ يجعلها للدهر وصروفه والزمن وأحداثه.

ولا شك أن هناك صراعًا في الحياة الإنسانية بين عدد من المتضادات: الليل والنهار، والموت الحياة، والشباب والشيب، والخير والشر، وعدم قدرة الإنسان على السيطرة على هذه المُتغيّرات المتضادات؛ ومن ثمّ نسبها إلى قوى غير مرئية لا يستطيع كبح جماحها أو مواجهتها، وتمثّل ذلك في الدهر أو الزمن، فـ"موقفه من الزمان الذي يتجسّد عنده بالدهر، أو هكذا كان يرمز للزمن بهذه الكلمة، وكانت تعني لديه الخطر الذي يهدّد الإنسان؛ بوصف الزمان عاملًا مهددًا للبقاء وللحياة"[(٢)]؛ ومن هنا كانت "تلك القوة الهائلة التي تُصيب الناس بالبلى والابتلاء؛ هي قوة الدهر المنحاز إلى الشر دائمًا"[(٣)].

وقد كثرت شكوى الشعراء من الدهر؛ لأنه "يظلم ولا يحكم بعدل، فهو يرفع بعضًا ويخفض الآخر، ويُعطي من لا يستحق، ويحرم الآخرين، إنه شأن أولئك الذين يرون الدهر مجردًا لهم من كل حق"[(٤)]. ومن الطبيعي أن حياة الإنسان لا تسير على وتيرة واحدة،

(١) تريعة، "الزهد في شعر أسامة بن منقذ". *مجلة كلية الآداب واللغات جامعة بسكرة* ٢٥، (٢٠١٩م): ٣٤١.

(٢) محمد زكي العشماوي، "موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي"، (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨١م): ١٩٤.

(٣) حسني عبد الجليل يوسف، "الإنسان والزمان في الشعر الجاهلي"، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٨م): ٥١.

(٤) محمد عيسى الحوراني، "الدهر في شعر ابن الرومي": ١٢٩.

فحاله متقلّب بين فرح وحزن، وسعادة وشقاء، وقد عبر الشعراء عن ذلك منذ العصر الجاهلي، وجاء في هذا المعنى قول أسامة بن منقذ مصورًا الدهر وحال الإنسان(١):

**والدّهرُ كالميزانِ: ذو الفَضْلِ يَنْحَطُّ وذُو النُّقصانِ يَستَعْلِي**

فقد شبّه الدهر بالميزان، الذي من شأنه أن يُعطي كل ذي حق حقه؛ لكنه ميزان ظالم ترجح فيه كفة ذوي النقص، وهذا تصوير لانتفاء العدل في ميزان الدهر، وجاء قوله في المعنى نفسه، مُشخّصًا للدهر وواصفًا له بالجهل، يقول (٢):

**أبا تُرابٍ دهرُنا جاهلٌ يَرفَعُ للشِّبهِ ذَوِي الجهْلِ**

**كأنّه الميزانُ يعلُو به ذو النّقْصِ عن رُتبةِ ذي الفضلِ**

حيث أسند الجهل والظلم إلى الدهر ونفى عنه العدل، وصوّره بالجاهل الداعم لذوي الجهل أمثاله، فهو ميزان ظلم يبخس الحقوق.

كما يدرك الشاعر إثر تجاربه في الحياة حقيقة الدهر التي يجب إدراكها، وعدم الغفلة عنها فإن ضحكت لك الحياة فلا تأمن شرها؛ فالدهر متقلّب متلوّن (٣):

**كذّبتُها ثُمَ ناجتني الظّنونُ بأنْ نَ الدَّهْرَ ليس بمأمونٍ فلا تَثِقِ**

فهذه الصفات التي نُزعت من الدهر: (الأمان والعدل والثقة)، ونسب له ضدها؛ من شأنها إذا اجتمعت في أمر أن يقابلها بالحذر وعدم الثقة.

وقد تنوّع حديث أسامة كغيره من الشعراء في تناوله لسلطة الدهر وقوته من: بيان القوة والسلطة، وحديث عن الحثّ على الصمود أمام تلك القوة، وتشخيص للدهر وصروفه؛ إذ أسندوا إليه أفعالًا وصفات ليعكسوا عِظم سلطته وتلوّنه وتبدّله، فشخّصوه بصورة إنسان ظالم غادر غائل ظالم، وقد جاء تشخيص الدهر لما للتشخيص من دور في إثبات المعنى وإبرازه.

وظهر الأثر الفني لصورة الدهر في شعر أسامة عبر تشخيصه وخلع الصفات التي تمثّل حقيقته كما يرونها نتيجة ما أصابهم من صروف ونوائب وخطوب، ومن ذلك قوله (٤):

**وصفَ الصّبرَ لي جهولٌ بأمري فارغُ البالِ من هُمومِي وفِكري**

(١) أسامة بن منقذ، "ديوانه": ٣٠٨.
(٢) أسامة بن منقذ، "ديوانه": ٢٣٩.
(٣) أسامة بن منقذ، "ديوانه": ١٧٩.
(٤) أسامة بن منقذ، "ديوانه": ١٢٧.

**مستريحٌ مَا قلبُهُ مثلُ قَلبِي لاَ ولاَ دهرُهُ ظَلومٌ كدَهرِي**

فالظلم أُسند للدهر مباشرة؛ لأن الشاعر يرى غيره يعيش حياة هانئة في سعادة وأمن، ويقارن حاله بغيره متأملًا الحياة وتقلّباتها؛ وبالتالي فإن هذا يدلّ على ظلم الدهر الذي لا يوازن في قسمة صروفه بينه وبين الآخر، فهو أكثر عُرضة لصروف الدهر ونوائبه؛ ولذلك صوّره بالظالم الذي وقع ظلمه عليه؛ لكنه وقف صابرًا أمامه مواجهًا له بكل قوته، وفيها إشارة إلى أن الدهر بطبيعته لا يأتي إلا بالمصائب والكوارث والألم؛ يقول(١):

**لا تجزَعَنَّ لخطبِ فكلُّ دهرِكَ خطْبُ**

كما يصف الدهر بالظلم في قوله(٢):

**أشكُو زَمانًا قضَى بالجَورِ فيَّ ولم يَزَلْ يجورُ على مثلِي ويَعتسفُ**

ومن طبع الدهر الغدر، حيث صوّره أسامة كذلك ليعكس عِظم صروفه، يقول (٣):

**ولا عجبَ أنتم بنو الدهرِّ مثلهُ عهودُكُم غدرٌ وودّكُم ختلُ**

حيث جعل أفعال بني الدهر مثل دهرهم، وزاد جمال المعنى حين ربط بين الغدر ونكث العهد، فالعهد ميثاق لازم التأدية ولا ينكث العهد إلا مُخادع جُبل على ذلك.

وفي توجيه الخطاب للدهر والاستفهام منه عن سبب ترصّده له وإساءته دون غيره، يقول(٤):

**يا دَهرُ مالَكَ لا يَصُدّ دُكَ عن إساءَتِيَ العِتابُ**

**أَمْرَضْتَ مَن أَهوَى ويَأْ بَى أَن أُمَرِّضَه الحجابُ**

**لو كُنْتَ تُنصِفُ كانت الـ ـأَمراضُ بي ولَهُ الثَّوابُ**

وجاء الأثر الفني لجمال معاني الدهر في استفهام أسامة الموجّه إلى الدهر عن أفعاله(٥):

**عَلامَ يا دهرُ بالعُدوَانِ تَحبِسُني في غيرِ جِنْسِي ولَم أُفقَدْ ولم أَغِبِ**

**هَلاّ بأَدنَى العذَابَيْنِ اقتَنَعْتَ لنَا فالذَّبحُ أَرْوَحُ من تَعذيبِ مُغتَرِبِ**

(١) أسامة بن منقذ، "ديوانه": ٢٨٠.
(٢) أسامة بن منقذ، "ديوانه": ٢٣٠.
(٣) أسامة بن منقذ، "ديوانه": ١٦٩.
(٤) أسامة بن منقذ، "ديوانه": ١٠٥.
(٥) أسامة بن منقذ، "ديوانه": ١٠٦.

فصفة الدهر لا تتغير، وخلقه الذي عرف به وجُبل عليه ثابت لا يزول، ودوام الحال عنده من المحال، والمكوث على حالة واحدة من المستحيلات، خاصة إذا ترصّد الدهر لشخص معين يرعاه بإسناد المصائب والمحن له؛ لذلك جاءت شكوى أسامة من سلطة الدهر وقوته في قوله [1]:

**إلى اللهِ أَشكوُ عيشَةً قَد تنكَّدتْ عَليَّ ودهرًا قد ألَحَّت نوائبُهْ**

**تكَدّرَ من بَعْدِ الصّفاءِ نميرُهُ وأَحزَنَ من بَعْد السُّهولةِ جانبُهْ**

فالزمن – وهو جزء من الدهر – كان كالدهر في وقع الظلم على الشاعر واستمراره، وفي اختيار اللفظتين: (قضى – يزل) وما تتضمّنانه من دلالة على الماضي والحاضر؛ تدلّان على أنه مازال وقع الظلم على الشاعر، ويزيد المعنى جمالًا بربط الظلم بالتعسّف والتضييق على الشاعر؛ لنزع الفرح والسرور من حياته، يقول[2]:

**والدّهرُ يَمنحُ ثم يَمنعُ نَزْرَ ما أعطى ويَبخلُ بالسّرورِ الدّائمِ**

**والنَّاسُ مَن لَمْ يَصْطبِرْ لِمُصَابِهِ صبرَ الرِّضا صبَرَ اصطبار الرَّاغِمِ**

وجاء هذا البيت مصوّرًا لطبيعة عطاء الدهر الذي يتنوّع بين رخاء وشدة، ولكن الشدة كانت أعظم وأكثر نصيبًا، ودلّت اللفظتان (يمنح –يمنع) على العطاء والمنع، وجاءت بعدها لفظتا: (نزر – يبخل)؛ لتدّلان على قليل ما يعُطي من خير وسرور. إن هذا المعنى التقابلي لحالة الدهر في عطائه ومنعه تُترجم الأثر النفسي الذي يعانيه الشاعر جراء العوامل التي أثرت في حياته وتشكّل منها هذا الأثر الفني الجمالي لشعر الدهر. وله في المعنى نفسه قوله [3]:

**وكذَا الأيّامُ من عَاداتِها أنّها تُعقِبُ سَهلَ العيشِ حَزْنَا**

**خُلُقٌ للدّهرِ ما أولَى امرأً نعمةً منهُ فملاّهُ وَهَنّا**

وقوله[4]:

**لمَّا رأيتُ صروفَ هَذا الدَّهرِ تلعبُ بالبَرايا**

(١) أسامة بن منقذ، "ديوانه": ١٠٦.
(٢) أسامة بن منقذ، "ديوانه": ٣١٠.
(٣) أسامة بن منقذ، "ديوانه": ١٥١.
(٤) أسامة بن منقذ، "ديوانه": ٢٩٣.

يَعلـــو بهـــا هـــذا ويَـــهْ بِـــطُ ذا وقَـــصْرُهُمُ المَنايـــا

وقوله [1]: فَيا لَكَ من دَهرٍ كثيرِ التّقَلُّبِ

مَـضى زمـنٌ والنـاسُ يَسْتَـشْفِعونَ بـي فَهَـل لـي إلـى لَيْلـى الغَـداةَ شَـفيعُ

وقوله[2]:

مـا زلـتُ فـي غِبطـةِ عِيـشى عالِمًـا أن سـيزولُ بـالهمومِ مـا غَـبَطْ

وأَنّ صـرْفَ الـدَّهرِ يـأتي بالّـذي سـاء اعتمـادًا وبمـا سَـرَّ غَلَـطْ

وتأتي سلطة الدهر في مظاهر تبدّل حال الإنسان وفق الطبيعة البشرية، وانتقال الإنسان من مرحلة الشباب إلى الشيب، وما يلازم مرحلة الكبر والشيب من ضعف بعد قوة، ووهن البدن، وأمراض الكبر من ضعف بصر وتقارب الخطى وثقل السمع، وملازمة البيت؛ وكل هذه المظاهر قد أشار إليها الشعراء باكين شبابهم، شاكين الشيب وتبعاته، وقد أبدعوا في تصوير ذلك؛ لارتباطه بنفوسهم ومعاناتهم النفسية حين تأمل الحال وتبدّله من نشاط إلى ضعف؛ "إذ ينزع الشاعر إلى الحنين إلى شرخ الشباب؛ ليكون ذلك إما دفعًا لألم الحاضر بما فيه من مفارقة خصائص الشباب، أو إعادة التماس ذكريات الماضي، لما يمكن أن يجد فيها من السلوى"[3].

ولأسامة قصائد رائعة يشكو فيها الكبر والشيب، ويتذكّر أيام الشباب والنشاط، حيث عمّر إلى التسعين؛ فانهالت عليه الأمراض وصروف الدهر، مع إحساسه المرهف ونفسه الرقيقة؛ فقد "كانت كفّه مألفًا للسيف والرمح؛ فصارت تحمل العصا، يمشي بها كما يمشي الأسير مُثقلًا مُكبّلًا، وحينُا يأسف على أنه لم ينل في شبيبته من المتع والملاذ"[4]، ومن شعره الذي يصوّر ذلك:[5]

يقولـون جـارَ عليـك المـشيبُ ومَـن ذا يُجيـرُ إذا الـشيبُ جَـارَا

ومـا كنـتُ مغتبطًـا بالـشّبابِ وهـل كـان إلّـا رِداءً مُعـارَا

ولكنَّنـي سـاءَني فَقـدُهُ فواهًـا لـه أيَّ هـمٍّ أثَـارَا

(١) أسامة بن منقذ، "ديوانه": ٣٦٣.

(٢) أسامة بن منقذ، "ديوانه": ٣٣٤.

(٣) نادية عبد الرحمن محمد، "ثنائية المكان والحنين في شعر ابن منقذ في كتابه (المنازل والديار)"، *مجلة الدراسات العربية*، كلية دار العلوم- جامعة المنيا ٤٠، (٢٠١٩م):١٠٨١.

(٤) أسامة بن منقذ، "ديوانه": ٢٣.

(٥) أسامة بن منقذ، "ديوانه": ٣١٨.

وما سَاءَنِي أن أحالَ الزّمانُ لَيلِي نهارًا وجَهلِي وقَارَا

ولكن يقولُون عَصرُ الشّبابِ يكونُ لكلِّ سرورٍ قَرارَا

وما زلتُ مُنذ تردّيتُهُ كخَابِط ليلٍ أُعانِي العثَارَا

ولنتأمل جمال الأثر الفني لصورة الدهر المتمثّلة في الشيب وتحولاته، وكيف صوّر أسامة نفسه جرّاء تبدل حاله من مرحلة عمرية محبوبة إلى مرحلة عمرية ثقيلة غير مرغوبة؛ إذ صوّر نفسه كمن يتخبّط ليلًا متعثّرًا لا يقوى على السير، بل لا يقوى على القيام المعتدل نتيجة صروف الدهر التي ألّمت به والمُتمثّلة هنا في الشيب، وجاءت كلمة (العثارا) لتعكس المعنى المراد، فكلما حاول الوقوف تعثّر ورجع؛ وفي هذا تصوير لقمة الانكسار الذي يشعر به. ويستمر الشاعر في تصويره لفعل الدهر بصورة أخرى، فيقول:

أكابِدُ دهرًا يُشيب الوليدَ وهمّا يَشُبُّ بأحشايَ نَارَا

فوجْدِيَ أنِّيَ فارَقتُه ولم أَبْلُ ما يزعُمونَ اختبَارَا

فكلمة (أكابد) جاءت لتعكس انكساره نتيجة ما يشعر به، وكيف صوّر حاله نتيجة صروف الدهر مكابدًا لأفعاله وصروفه، التي يشيب منها الوليد ويتولّد عنها نار في الأحشاء تتلظّى.

ولأسامة بن منقذ أبيات أخرى يبكي فيها شبابه، ويتأمل صروف دهره وما أحدثه من تغيّر للأحوال، وهو بكل إيمان وصبر يقف متقبّلًا لهذا التغاير؛ لأنه حال البشر أجمع(١):

أُنظُر إلى صَرفِ دهري كيفَ عَوَّدَني بعدَ المَشيبِ سِوى عاداتيَ الأوَلِ

وفي تَغايُرِ صرفِ الدّهرِ معتَبِرٌ وأيُّ حالٍ على الأيام لم تَحُلِ

قد كنتُ مِسْعَر حَربٍ كلَّما خَمَدَتْ أضرمتُها باقتداحِ البيضِ في القُلَلِ

هَمِّي منازلةُ الأقرانِ أحسَبُهُم فَرائسِي فَهُمُ منِّي على وَجَلِ

أمْضَى على الهَولِ من لَيلٍ وأهْجَمُ مِن سَيْلٍ وأقدمُ في الهيجاءِ مِن أجَلِ

فَصرتُ كالغَادةِ المكسالِ مضجَعُها على الحشَايا وراءَ السَّجفِ والكِلَلِ

(١) أسامة بن منقذ، "ديوانه": ٣٠٥.

قد كِدتُ أعْفَـنُ مـن طُـولِ الثَّـواء كمـا يُصدي المهنَّدَ طـولُ المكـثِ فـي الخِلَـلِ

أروحُ بعـد دُروعِ الحـربِ فـي حُلـلٍ مـن الـدَّبيقِي فبؤسًـا لـي وللحُلَـلِ

فتبدّل الحال – خاصة الشيب والكبر– جار على كل إنسان بلغ مرحلة من العمر، ولكن الحكيم الفطن من يعتبر كما اعتبر شاعرنا، ولنتأمل قوله: (وأي حال على الأيام لم تحل)، ففيه بلغ إحساس الشاعر ويقينه بسنة الحياة وأن دوام الحال من المحال. ولعل هذين البيتين جعل الشاعر منهما نقطة تأمل وإثارة لقريحته واستعادة لماضيه وتذكّر قوته التي يفتقدها في هذه المرحلة العمرية، وقيادته وفروسيته. ويستمر مصوّرًا قوته في الحرب، ثم حاله في شيبه وكبره، فهو كالغادة التي ألفت مضجعها ورغبت في قلة الحركة، أو كالمهند الذي صدأ من طول مكثه دون استخدام. والمقابلة بين حالتي الشباب والشيب؛ تعكس الحسرة والألم على شبابه وفروسيته التي أمضاها شجاعًا مقدامًا.

وقد أبدع أسامة في تصوير الكبر والشيب، ورسم آثارهما التي تظهر على سلوك الإنسان، وما أحسن ما قاله:

معَ الثمـانينَ عـاثَ الـدهرُ فـي جلـدِي وسَاءني ضعفُ رِجْلِـي واضـطرابُ يـدِي

إذا كتبـتُ فخطّـي جـدّ مـضطربٍ كخـطِّ مـرتعشِ الكفـينِ مُرتعـدِ

فاعجبْ لضعفِ يـدي عـن حملِهـا قلمًـا من بعـدِ حطـم القنـا فـي لبـةِ الأسـدِ

وإنْ مـشيتُ وفـي كفـي العـصَا ثقلـتْ رجلِي كأني أخـوضَ الوحـلَ فـي الجلـدِ

فقـلْ لمـن يتمنّـى طـولَ مدتـهِ هـذي عواقـبُ طـولِ العمـرِ والمـددِ[1]

ويلاحظ هنا نبرة الحزن والحسرة على شبابه الذي مضى، وتأمل حالًا يعيشه ويعاني آثاره، التي ظهرت في أغلى ما يحبه وهو الكتابة والإمساك بالقلم الذي عجز عن السيطرة عليه، كما عجزت رجلاه عن حمل قواه حيث يستعين بالعصا في خطاه.

ومرور الدهر وجريان سنوات العمر أدركه الشاعر من خلال مرحلة الشيب التي عاشها وصوّرها في أبرز ملامحها من: قصر الخطوات، والانحناء، والاتكاء على العصا، ومن ذلك قوله [2]:

(١) شهاب الدين المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة، "كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية"، حقّقه وعلّق عليه إبراهيم الزيبق، (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٩٧م): ٣٥٨.

(٢) أسامة بن منقذ، "ديوانه": ٣٢٤.

نُكِّستُ في الخَلقِ وحطّتنِيَ السْـ ـسَبعونَ لمَّا أنْ علَتْ سِنِّي
وغيَّرتْ خَطِّي فأضحَى كما تَرى وكم قد غيَّرتْ مِنِّي
والموتُ فيه راحةٌ من أذَى الدْ دُنيا فما أغفَلَه عَنِّي

ويتأمل شبابه يوم الوغى ومقارعة الأعادي، مقارنًا بين الحالتين المتضادتين؛ ليظهر جمال مرحلة الشباب التي عاشها فارسًا قويًّا، يقول(١):

رِجلايَ والسبعون قد أوْهَنَتْ قُواي عن سَعيي إلى الحَربِ
وكنتُ إن ثوَّبَ داعِي الوغَى لبَّيتُهُ بالطَّعنِ والضَّربِ
أشقُّ بالسّيفِ دُجَى نقعِها شقَّ الدَّياجي مرسَلُ الشُّهبِ
أنازِلُ الأقرانَ يُرديهِمُ من قَبلِ ضَربي هامَهمُ رُعْبِي
فلم تَدَعْ منّي اللّيالي سوَى صَبرِي على اللأْوَاءِ والخَطبِ

تأمل الشاعر ماضيه الجميل، ووازن بينه وبين وضعه حاله، فاستحضار الحالتين زاد المعنى جمالًا، وعكست المقابلة بينهما وجع الشاعر الفارس، حيث لم يربط الذكرى بشيء آخر سوى فروسيته وخوضه للمعارك؛ ويدلّ هذا على الألم النفسي الذي يعيشه في مرحلة الكبر.

ونشير إلى قوله شاكيًا حاله وما آل إليه نتيجة الدهر وخطوبه، وتبدّل حاله من بعد قوة، فكان أن ذهب الموروث والمكسوب؛ وهنا إشارة إلى ضياع أمجاده وثروته وشبابه، يقول(٢):

أنَا أشكُو إليكَ دهرًا لحَا عُو دي وأعرَاه فَهْوَ يَبْسٌ سَليبُ
وخُطوبًا رَمى بها حادِثُ الدَّهْـ ـرِ سَوادي وكلُّهُنَّ مُصيبُ
أذْهَبَتْ تَالِدي وطارِفِيَ الطَّا ري فَضَاعَ المورُوثُ والمكسوبُ

(١) أسامة بن منقذ، "ديوانه" :٢٥٨.
(٢) أسامة بن منقذ، "ديوانه": ٢١٣.

**المبحث الثاني: الدهر والفراق:**

أكثر أسامة من الحديث عن الفراق في شعره وتعـدّدت معانيـه وصـوره؛ نظـرًا للمؤثرات التي أثرت في حياته الخاصة والعامة، وكان الفراق المحور الرئيس فيها: فـراق الغربة والبُعد، وفراق الموت، وفراق الأحبة، فقد عانى أسامة من الفراق بأشكاله المتعـددة، ولامس حسه المرهف، وأثر في نفسه الرقيقة، وهو المطبوع والمولع بحب أرضه ووطنه؛ فاجتمع فراق الأرض وفراق الإنسان؛ فأثر في نفسه وانعكس على شعره.

ولعل تأليفه لكتاب (المنازل والديار) يعكس تعلّقه بأمجاده ووطنـه وحبـه الـصادق لأرضه وأهلها وحنينه؛ رغم الصعوبات والحواجز التي حالت بينه وبين التمتّـع بـالعيش طيلة عمره على أرض وطنه. إن قسوة الظروف والظلم الذي تعرّض لـه بعـد إخلاصـه لوطنه؛ لها دور كبير في التأثير بشخصيته وظهر ذلك في شعره؛ فكان الجمال الفنـي فـي تصوير صروف الدهر بصور دلّت على إبداع الشاعر وصدق عاطفته وقوة معانيه.

وقد جمع أسامة في أغلب حديثه عن الدهر عن دوره في إحداث الفراق بينه وبـين أهله وأحبته، وتشتّت شملهم، وغربته التي يعيشها، وها هو يخاطب الدهر متـسائلًا ألـيس للغربة نهاية، يقول [1]:

**يـا دهـرُ كـم هَـذا التَّفَـرْ رُقُ والتَّغَـرُّبُ والـشَّتَاتُ**

**أبـدًا علـى سـيرٍ كأنْـ ـنِي الـشّمسُ لَـيس لهـا ثَبـاتُ**

**متقلقـلُ العَزَمـاتِ كالـ ـمطلوبِ أفرقَـهُ البَيـاتُ**

ويُخاطب الشاعر والده موضحًا أن بُعده وفراقه عنه ظلم عانى من وقعـه وقاسـى ألمه من دهر جائر يلاحقه ويترصّد له[2]:

**وقـضَى ببُعـديَ عنـك دهـرٌ جـائرُ وإلـى جَنَابِـكَ إن سـلمتُ رُجـوعِي**

وهنا وصف الدهر بالجور نتيجة الفراق الذي يحدثه بـين الأحبـة، وهـذا مـن المعـاني المتعارف عليها منذ القدم.

ومن جماليات شعر أسامة تصويره أن الأيام والليالي ليس لها أي عذر فيما أحدثتـه من فراق وتشتت، وأن عتابه لها غير مُجدٍ[3]:

(١) أسامة بن منقذ، "ديوانه":٣٤٦.

(٢) أسامة بن منقذ، "ديوانه": ١٧٤.

(٣) أسامة بن منقذ، "ديوانه": ١٢٣.

أُعاتِبُ أيّامِي عليكُمْ ومَالَها ولا للَّيالِي فِي الّذي بيننا عُذْرُ
لقد صَدَّعَتْ بعد التّفَرّق شَملَنا كصَدْعِ الصّفا ما إنْ له أبدًا جبْرُ
وما زالَ صرفُ الدّهر يسعى بِبَينِنا فلمّا انقضَى ما بيننا سكَنَ الدّهرُ
فويحَ زمانٍ فرّقتَنا صرُوفُه أكانَ عليهِ فِي تَفرُّقِنا نَذْرُ

إن الفعلين (يسعى وسكن) وما يدلّان عليه من الحركة المستمرة والثبات التام؛ يعكسان حالة الشاعر التي عاشها وشكّلتها صروف الدهر ونوائبه، فمازالت تلحق الشاعر وتصيبه في نفسه وأحبابه حتى تفرّقوا وتألموا، وما إن تم ذلك؛ حتى سكن الدهر عن تتبّعه وسعيه وإلحاق الضرر به.

كما صوّر أسامة الدهر بشخص عائن أصابهم بالحسد، فتفرّقوا بعد أن كانوا مجتمعين آمنين، يقول(١):

ليتَ مَن يَسألُ جيرانَ النّقَا هَل لنَا بعد افتراقٍ مُلْتَقَى؟
عانَنَا الدّهرُ فأضحَى شملُنا بَعدَ ما كان جَميعًا فرقَا
وَهيَ الأيّامُ من عَادَاتِهَا رَدّ صَفوِ العيشِ طرْقًا رَنَقَا
كُلّ شَيءٍ غيّرتْ منّي النّوى بَعدكُم إلّا الجَوَى والحُرقَا

ففي هذه الأبيات بيان لحقيقة الدهر وأيامه، فصفو العيش يعقبه كدر وحزن، وليس هذا إلا لإصابتهم بالحسد من الدهر، حيث شخّص الدهر بإنسان متربّص يريد بهم السوء.

ويُشير الشاعر إلى دياره قبل الفراق وبعدها، ويصوّرها بعرين أسود كانوا يواجهون الخطوب ويدافعون عن أرضهم بكل قوة وشجاعة، ويقابلها بصورة دياره قفرًا خالية بعد تشتّت أهلها وتفرّقهم بالموت أو البُعد نتيجة صروف الدهر(٢):

يقولونَ قد أعولتَ في الدارِ ما كفا ولَيسَ على رَبْعٍ عَفَا بمعولِ
وكم قدر ما تبقي الدّموع إذا جرتْ على كلِّ ربعٍ أو على كلِّ منزلِ
فقلتُ نعم هذي ديارٌ عهدتهَا عرينَ أسودٍ في الخطوبِ ومعقلِي

(١) أسامة بن منقذ، "ديوانه":١٤٣.
(٢) أسامة بن منقذ، "المنازل والديار": ٢: ١١٥.

**فقد أصبحتْ قِفرًا وفَرَّقَ شملهم حوادثُ دهرٍ بالفراقِ مُوكّلِ**

**سَأبكيهم أو يمزجُ الدمُ أدمعِي فهل سمطًا كالجمانِ المفصَّلِ**

وحديث الشاعر عن الفراق له أثر فني جمالي ظهر في تصوير صروف الدهر وعلاقتها بالفراق بصور عديدة، ومن ذلك قوله(١):

**حتى قَضى الدّهرُ بتفريقنَا فمَا احتيالي في القضاءِ المُتاحْ**

وقد أشار الشاعر إلى الليالي ودورها في الفراق، وتعاضدها مع صروف الدهر، التي من شأنها إحداث النوائب والمحن، يقول (٢):

**فَرَمتْ جُموعَهُمُ اللّيا لِي بالتَّشَتُّتِ والبِعَادِ**

**وصروفُ هذا الدّهرِ تَطـ ـرُقُ بالحَوادِث أَو تُغَادي**

ونتيجة لتجارب الشاعر وخبراته في الحياة؛ تأتي الحكم منثورة بين طيات معانيه، دالّة على رجل خاض تجارب الحياة، والدهر وإن حكم أمره؛ فليس له مرد أو حيلة تُثنيه عن عزمه على وقع ما أراد، وليس بمؤتمن فعل الدهر؛ فهو متقلّب متلوّن، فاليوم سرور وغدًا حزن وألم، يقول (٣):

**فَقُل لمن أشْمَتَه فِراقُنا وسرَّه أن جَار دهرٌ واعْتَدى**

**إن سرّك الدهرُ بنا اليومَ فهَل أمِنْتَ أن يَسرّنا فيك غَدا**

وصوّر الشاعر حاله بعد الغربة والتشتت، فقال(٤):

**لَئِنْ فرّق الدّهرُ المشتِّتُ شملَنا فأصبحتُ في شَرقٍ وأمسيتَ في غَربِ**

**لقد عزّهُ تَفريقُ صَادِقِ وُدِّنا وأعجزَه إبعادُ قَلبِكَ من قَلبي**

وقال في وصف حاله جراء حدوث الزلزال وفقد أحبته (٥):

**لم يتركِ الدهرُ لي من بعدِ فقدِهِمُ قلبًا أُجشِّمُه صبرًا وسُلوانا**

(١) أسامة بن منقذ، "ديوانه":٦٠.
(٢) أسامة بن منقذ، "ديوانه":١١٠.
(٣) أسامة بن منقذ، "ديوانه":١١٧.
(٤) أسامة بن منقذ، "ديوانه":١٦٤.
(٥) أسامة بن منقذ، "ديوانه":٣٥٧.

ويصوّر الشاعر موقفه من الدهر بعد وقوع الزلزال وما أحدثه من ألم في قلبه، وقد قصر حالته بعد الزلزال على صورة واحدة [١]:

**لا ألتقي الدَّهرَ من بعد الزَّلازِل ما بقيتُ إلّا كسيرَ القَلب حَيْرانا**

فقد قصر حالته في قوله: (كسير القلب حيرانا)؛ وبهذه الجملة يكشف عن عِظم ما أحدثه الزلزال في أحبابه ونفسه، فقد فرّق بينهم بالتشتت والموت.

والدهر كما صوّره الشاعر مترصّد له، لا يدوم على حالة واحدة، فهو متقلّب الحال، ولا يأتي إلا بالنوائب والخطوب، يقول [٢]:

**وما زالَ صرفُ الدّهر يسعى بِبَينِنا فلمّا انقضَى ما بيننا سكَنَ الدّهرُ**

وفي فراق الأحبة يبدع الشاعر في تصوير مشاعره وألمه جراء الفراق، ومن ذلك قوله مخاطبًا ولده [٣]:

**مُواصَلَتِي كُتبي إليكَ تَزيدُني إليكَ اشتياقًا بل عليكَ تأسُّفَا**

**ولي أُسوةٌ في النّاسِ لو نَفَعَ الأُسى فَمن قَبلِنَا يَعقوبُ فَارقَ يُوسُفَا**

**ولَكنّ نفسِي قد تملّكَها الأسَى وقَلبي إذا سَكَّنتُهُ بالأسَى هَفَا**

**ومَا أحسَبُ الأيّامَ تَقنُع بالنّوَى ولا أنَّ صَرفَ الدّهرِ بالفُرقةِ اُشْتَفَى**

ضمّن الشاعر كلامه قصة يعقوب وابنه يوسف؛ لعله يسلي نفسه مما أصابه من فراق أحبته، وختم الأبيات بتعجبه من الأيام وفعلها، ومن صروف الدهر وتشفيها بإحداث الفرقة بين الإحباب.

وله أيضًا خطاب موجّه لأخيه، يكشف عن ألمه النفسي وإحساسه المرهف، فهو شاعر له إحساس رقيق يؤثر فيه الأحداث والمصائب ويبقى أثرها ظاهرًا في شعره وحياته، خاصة أن الأحداث لامست أحبابه وأهله، يقول[٤]:

**يَا ثَانيًا للنَّفسِ وهْ وَلِنَاظِرَيَّ أعزُّ ثَالِثْ**

**ونجيُّ فِكرِي دُون سَا ئِرِ من أُنَاجِي أو أحادِثْ**

(١) أسامة بن منقذ، "ديوانه":٣٥٧.

(٢) أسامة بن منقذ، "ديوانه":١٢٣.

(٣) أسامة بن منقذ، "ديوانه":١٧٤.

(٤) أسامة بن منقذ، "ديوانه": ١٦٧.

أشـــــكُو فراقَـــــكَ فهـــــو أو جَـــعُ مـــا لقيـــتُ مـــن الحَـــوادِثْ
شَـــــكوَى مَـــــشُوقٍ يـــــستريـــ ـــــحُ إليـــك والمـــصدورُ نَافِـــثْ
وألـــــومُ دهـــــرًا جـــــدَّ فـــــي تـــشتيتِ شـــملِي وَهْـــو عابِـــثْ

وللياليِ دورها في الفراق، فهي جزء من الدهر وصـروفه، ومنهـا يقـع الظلـم، وتتعاضد مع الدهر في إيقاع النوائب، وقد شخّص أسامة الدهر وجعل لـه سـلطة وقـوة، وتتعدّد صور الليالي التي جاءت في شعر أسامة، ومنها قوله [1]:

كـــأنّ الليـــالِي إذْ قـــضَت بِفِراقِنـــا قَضى جَورُهـا أن لـيس تَجمعنـا مِـصرُ
أُحِـلُّ بهـا إن غـابَ عنهـا وإن أَغِـبْ يحِـلُّ بهـا فاعجـبْ لمـا صـنعَ الـدّهرُ

فقد جعل الدهر حاكمًا ظالمًا، حيث حكم بالفراق والتشتت بينه وبين أحبابه. كمـا شـخّص الليالي بقوله[2]:

رَمتْنـــا اللَّيـــالي بـــافتراقٍ مُـــشَتِّتٍ أَشَـــتَّ وأَنْـــأَى مـــن فِـــراقِ المُحَـــصَّبِ
تَخَالَفَـــتِ الأَهـــواءُ وانْـــشقَتِ العَـــصَا وشَـــعَّبَهُمْ وشَـــكُ النَّـــوَى كـــلَّ مَـــشْعَبِ
وقـــد نَثَـــر التوديـــعُ مـــن كـــلّ مُقلـــةٍ علـــى كـــلِّ خـــدٍّ لؤْلُـــؤًا لـــم يُثَقَّـــبِ

فقد جعل الليالي تجيد الرماية؛ ولكن سهامها كانت الفراق الذي أصابتهم به، ومنظـر الدمع الذي نُثر على الخدود كاللؤلؤ الذي لم يُثقب؛ وهنا تظهر سلطة الـدهر التـي رآهـا الشاعر وغيره من الشعراء حين خلعوا عليه صفات الإنسان المتسلّط المستبد.

والأسى والحزن الذي يكمن في قلب من كُوي بالفراق والغربة جاء كثيرًا في شـعر أسامة، حيث أجاد الشاعر في تصوير بُعد السرور والفرح عن الإنسان الذي أُبتلي بـالفراق والغربة[3]:

أيـــنَ الـــسّرورُ مـــن المُـــروَّعِ بـــالنّوى أبـــدًا فَـــلا وَطَـــنٌ ولا خُـــلاّنُ؟
عِيـــدُ البَرِيَّـــةِ مَوسِـــمٌ لِعَويلـــهِ وسُـــرورُهُمْ فيـــه لَـــهُ أحـــزانُ

(١) أسامة بن منقذ، "ديوانه": ١٧٢.
(٢) أسامة بن منقذ، "ديوانه": ١٠٦.
(٣) أسامة بن منقذ، "ديوانه": ١٥٤.

وكثيرًا ما يشكو أسامة من الفرقة وأثرها في نفسه داخليًّا وخارجيًّا، حيث أثرت في جفونه بالدمع وأثرت في ضميره بالهموم، يقول [١]:

**إلى اللهِ أشكُو فُرقةً دَمِيَتْ لها جُفوني وأذكَتْ بالهمومِ ضَميرِي**

**تَمادَتْ إلى أنْ لاَذَتِ النّفسُ بالمنى وطارتْ بها الأشواقُ كلَّ مَطِيرِ**

**لمّا قضَى اللهُ اللّقاءَ تعرَّضَتْ مساءةُ دهري في طريقِ سُروري**

وهنا يُصوّر الشاعر الحالة المتقلّبة والمتقابلة من فرح وحزن ولقاء وفراق، فحين يقضي الله بأمر اللقاء بعد طول بلاء وفراق؛ فلا يلبث الدهر إلا أن يظهر إساءته ويقلب الأحوال؛ ولذا يشكو أسامة من الدهر قائلًا[٢]:

**ولستُ أشكُو اصْطِباري عند نَائبةٍ ولا فُؤادِي بخَفّاقٍ ولا قَلِقِ**

**وإنّما أشْتكِي دهرًا يُكلّفُنِي ما لا أطيقُ فِعالَ القَادِرِ الحَنِقِ**

**يَروعُني كلَّ يوم بالفِراق وما بقاءُ صبري مع الرّوعَاتِ والفَرَقِ**

إن الأثر الجمالي لوقع الفراق وأثره في النفس انعكس على شعر أسامة، الذي خاض التجربة وعاش المعاناة؛ ومن هنا جاء بصور بديعة من رحم المعاناة، فصوّر الدهر وفعله بفعل القادر الحنق، وكيف يصيبه بروعات الفراق المتتالية.

وكثيرًا ما يوجه أسامة خطابه إلى الأحباب متأملًا صروف الدهر والأيام والليالي وما أصابهم من فراق وغربة حالت دون تلاقيهم، يقول[٣]:

**أأحبَابَنا مُذْ أفْرَدَتْنِيَ مِنكُمُ صُروفُ اللّيالِي أفْرَدَتْنِيَ بالهَمِّ**

**وحُمِّلتُ ثِقَلَ الشوق عنكُم وإنّني لأضعُفُ عن حَمل التَشَوُّقِ والسّقْمِ**

**كأنّيَ عَودٌ أوهَن الثِّقلُ صحبَه فردّوا عليه ثِقْلَهُنّ على رَغْمِ**

ومن ذلك قوله[٤]:

**أأحبابَنا هلاّ سبقتُم بوصلِنَا صُروفَ اللّيالِي قبلَ أن نَتَفَرّقَا**

(١) أسامة بن منقذ، "ديوانه": ١٢٦.

(٢) أسامة بن منقذ، "ديوانه":٣٩.

(٣) أسامة بن منقذ، "ديوانه": ١٤٨.

(٤) أسامة بن منقذ، "ديوانه":١٨٠.

ورسم الشاعر صورة لنفسه نتيجة فراق الأحبة، فقد قسّم الهوى دهر الشاعر الذي أُبتلي بالفراق إلى شطرين، يقول(١):

**قَسمَ الهَوَى دَهْرَ المروَّعِ بالنّوى شَطرْين بين شُؤُونِه وشُجُونِهِ**

**هُو في الدُّجَى كالشَمعِ يَقْطُرُ دمعُهُ نَارًا فتحرقُه ميَاهُ جُفُونِهِ**

**فإذَا بدا وَضَحُ الصّباحِ رأيتَهِ مثلَ الحَمامِ ينُوحُ فوقَ غُصونِهِ**

وجمال الأثر الفني للدهر يظهر هنا في تصوير الشاعر لنفسه في الليل بالشمعة، فعيونه تقطر دموعًا كالشمعة التي تحترق نارًا، وفي صباحه يصير كالحمام النائح على الغصون. وفي اختيار الشاعر للصور التي تعكس حالته يتخيّر ما يمثّله، وهنا اختار الشمع والحمام، لتناسب حالة ضعفه وألمه وانكساره، يقول (٢):

**ومُعظمُ هَمّي أنّ عُمر فِرَاقِنا مَديدٌ وعُمرِي للشقاءِ مَديدُ**

**فيا صخرُ ما الخنساءُ مثلي ولا نَهَى بَوادِرَ دَمعِي ما قَضاهُ لَبيدُ**

لقد كثر تصوير أسامة لفراق الأحبة والأهل؛ إذ يعدُّ من المؤثرات البالغة الأثر في نفسه وشعره؛ ومن ثمّ جاء شعره في هذا الشأن صادق العاطفة، بالإضافة إلى قوة التعبير عن المعنى وجزالة الألفاظ المختارة.

**المبحث الثالث: الدهر والشاعر:**

تنوّع موقف الشاعر من صروف الدهر؛ نتيجة تتابع الأحداث وتنوّع المصائب عليه، وما ارتبط به من ألم نفسي وما تبعه من حسرة وحزن وفراق، وقد جاء موقف الشاعر بين: مواجهة صروف الدهر بالصبر والرضا، واستسلام بالشكوى منه، أو بالاتجاه نحو الآخر للمساندة في مواجهة الدهر وصروفه.

وكانت مواجهة الدهر وصروفه عن طريق التحلي بالصبر وإظهار القوة والإيمان مع ما يعانيه من ألم وحزن، ولم يجد الشاعر سبيلًا لمواجهة صروف الدهر أسلم من الصبر، فهو قدر محتوم عليه لا يمكن دفعه أو رفضه ولا سبيل للإنسان إلا الصبر أمامه والرضا به.

(١) أسامة بن منقذ، "ديوانه": ١٥٤.

(٢) أسامة بن منقذ، "ديوانه": ١٦٨.

فالدهر وما يحمل من صروف ونوائب يرى فيه الشاعر صورة لما واجهه من غدر الأقارب خاصة، والإنسان عامة، وفراق الوطن والأهل، فقد تنقّل الشاعر بين مدن كثيرة، وشارك في معارك عديدة، وكان ينبغي له في آخر حياته أن يحيا حياة هانئة!

وصروف الدهر والخطوب والنوائب التي توالت على الشاعر وأثرت في نفسه؛ إنما هي قوة ودافع للاستمرار، ولم تك عائقًا؛ رغم الألم الذي عانى منه، حيث صوّر نفسه القوية بقوله(١):

**أئِن غَضَّ دهرٌ من جِماحيَ أو ثَنَى عِنانيَ أو زَلَّت بأَخْمَصِيَ النَّعْلُ**

**تَظاهَر قومٌ بالشَّماتِ جهالةً وكم إحْنَةٍ في الصَّدرِ أبرزَها الجهلُ**

**وهل أنا إلّا السّيفُ فلَّلَ حدَّهُ قِراعُ الأعادي ثم أرْهفَه الصَّقلُ**

صوّر الشاعر نفسه بشيء مرتبط به محبًّا له، وله معه مواقف عظيمة تشهد بفروسيته وشجاعته، فهو كالسيف الذي فلّل حده وزاد من حِدته خوضه للمعارك ومقارعة الأعادي، ثم زاد من حِدته بتلميعه وشحذه، وتعكس هذه الصورة الجمالية ما يحسه الشاعر في نفسه من آثار الألم والمحن التي تعرّض لها، وكيف وجد لها صورة تعكس قوته وصموده.

ويظهر الشاعر في أبيات له موقفه من مراقبة أعدائه له، واستشعار فرحهم بزوال ماله وفقد ثروته، ويُصوّر حاله بكل فخر وثبات وعزة نفس (٢):

**إن سرَّ أعدائيَ أَنْ عَضَّني دَهري بما أَذْهَبَ من مالي**

**فهِمَّتي بالنَّجمِ معقودةٌ ما حطَّها ما حَالَ من حَالي**

**كالنَّارِ إن نكَّسَها قابِسٌ لم يتَنَكَّس نورُها العَالي**

فالنجم العالي مطلع همته العالية وعزيمته القوية، التي لا يضرّها تبدّل الحال، فهو كالنار المشتعلة التي لا يضرها تنكيسها؛ بل يزيد نورها العالي. وفي المعنى نفس يوجّه الشاعر الخطاب للدهر مباشرة، مُنكرًا مستفهمًا عن حقيقة جزعه من الدهر، فهو كضوء النار التي لا يخمد ضوؤها؛ بالرغم من فعل صروف الدهر به، التي قوّت من عزيمته، تمامًا كالنار التي تجلو خبث الذهب(٣):

(١) أسامة بن منقذ، "ديوانه":٢٩١.
(٢) أسامة بن منقذ، "ديوانه": ٢٩٢.
(٣) أسامة بن منقذ، "ديوانه": ٢٨٠.

أيَحسَبُ دَهري أنّي جَزِعتُ لِما غال مِن نَشَبيَ وانْتَهَبْ
فقد أخلَصَتْنِيَ أحداثُه وبالنّارِ يَبدو خَلاصُ الذّهبْ
وما حَطّني أخذُهُ ما استَعادَ ولا زادَني رِفعةً ما وَهبْ
وما أنا إلّا كضوءِ الشّهابِ إذا نكّسوهُ اعْتَلى والتَهَبْ

والشاعر مؤمن بقضاء الله وقدره، يواجه الدهر وصروفه بصبره الذي لم يجد سبيلًا غيره، وهو دائم الحثّ على الصبر والاصطبار، وهذا أمر طبيعي أن يتجّه الشاعر إلى طريق الصبر، فهو المؤمن بقضاء الله وقدره، يقول(١):

إن فاجَأَتْكَ اللّيالي بما يسوءُ فَصَبْرَا
فالدهرُ يُرهِقُ عُسرًا ويُتبِعُ العُسرَ يُسرا
لو دامَ ما ساءَ مِنْهُ لدامَ ما كانَ سَرَّا

وله أبيات عديدة يقدّم فيها تجربته ونصيحته لمواجهة صروف الدهر وخطوب الليالي؛ لتعرّضه لمواقف عديدة من الإنسان القريب وظلمه وغدره، ومن الدهر وصروفه، يقول مصوّرًا تجربته (٢):

لكنّني قد حَلبتُ الدّهرَ أشْطُرَهُ فما يَراني لخطبٍ نابَ مُنقَبِضا
ألقى الحوادثَ بالصبرِ الجميلِ ومَقـ ـدورَ القَضاءِ بتسليمٍ لَه ورِضا

وها هو يصوّر الليالي حوامل بالخطوب، فكل ما يأتي به الدهر زائل لا يدوم، يقول (٣):

إذا ما عَرا خطبٌ من الدَّهرِ فاصطَبرْ فإنَّ اللّيالي بالخطوبِ حَوامِلُ
فكلُّ الذي يأتي بِه الدَّهرُ زائلٌ سريعًا فلا تَجزَعْ لما هو زَائلُ

وللشاعر بيان عن موقفه من الدهر تضمّنه شعره، موضحًا موقفه من المصائب، وكيف يواجهها بقلب صبور محتسب للأجر، واليقين بأن دوام الحال من المحال، يقول (٤):

الْقَ الخُطوبَ إذا طَرقْ نَ بقلبٍ مُحتسبٍ صَبورِ

(١) أسامة بن منقذ، "ديوانه": ٢٨٦.
(٢) أسامة بن منقذ، "ديوانه": ٢٨٨.
(٣) أسامة بن منقذ، "ديوانه": ٣٠٦.
(٤) أسامة بن منقذ، "ديوانه": ٢٨٦.

فَسينقَضي زمنُ الهُمُومِ مِ كَما انْقَضى زَمنُ السُّرورِ

فَمِنَ المُحالِ دوامُ حالٍ فِي مَدى العمرِ القَصيرِ

ويُقسم أسامة بالصبر، تلك الوسيلة التي اتخذها لمواجهة الدهر، فبالصبر سيواجه فعل الدهر، وجعله صبر محتسب راغب في الأجر والثواب؛ لينال بعده الفرج واليسر، يقول(١):

لأصبرنَّ لدهري صبرَ مُحتَسِبٍ حتّى يَرى غيرَ ما قَد كان يَحسَبُهُ

وأستَميتُ لما تأتي الخطوبُ بهِ ليعلَم الخطبُ أنّي لستُ أرهَبُهُ

إن غالَبتْني علَى وَفْري نوائبهُ فحُسنُ صَبريَ في الأواءِ يغلِبهُ

أو أبعدتَنيَ عن أهْلي وعن وطَني فأبعَدُ الفَرَجِ المرجُوِّ أقْربُهُ

والدّهرُ يَهدِمُ ما يَبني ويُخْمِدُ ما يُوري ويُبعِدُ ما يُدني تَقَلُّبُهُ

شخص الشاعر الدهر، وأسند إليه مجموعة من الأفعال المتضادة التي تعكس الحزن والفرح الناتج من الدهر وتقلب الحال؛ دالًا بذلك على سلطته، فهو يبني ويوري ويقرب، وفي المقابل فهو يهدم ويخمد ويبعد.

كما شخّص الخطوب التي مهما فعلت فلن يرهبه فعلها، فالصبر سيغلب الدهر حتمًا، وكذلك كل النوائب والخطوب، يقول(٢):

لا تجزَعَنَّ لخطبٍ فكلُّ دهرِكَ خطْبُ

إلى أن يصل إلى حكمة أطلقها في صورة بديعة، حيث خبر الدهر وخطوبه، وعرف الليالي وما تحمله، فالصبر سيأتي بالفرج لا محالة، فكل نارٍ ناتجة من حريق يخاف لظاها؛ ستخمد لا محالة إن ذهب وانتهى ما تحترق به:

كم صابَرَ الدهرَ قومٌ فأدركوا ما أحَبَّوا

وكلُّ نارِ حريقٍ يُخشى لظاها سَتَخْبو

ويظهر الأثر النفسي للدهر وصروفه جليًّا في أبيات للشاعر يصوّر حاله من خلال تشبيه نفسه بصورة نسر لا تستطيع قوادمه أن تحمله، ولا يستطيع جناحاه أن يثب بهما

(١) أسامة بن منقذ، "ديوانه": ٢٨١.

(٢) أسامة بن منقذ، "ديوانه": ٢٨٠.

للطيران؛ وهنا تصوير لقمة العجز الذي أدركه من الدهر وصروفه، فضلًا عن كبر سنه وعجزه، يقول [1]:

**أصبحتُ كالنَّسرِ خانَتْهُ قوادِمُهُ لا تَستَقِلُّ جَناحاهُ إذا نَهَضا**

**أروحُ من نائباتٍ لا تُغِبُّ ومِن هُمومٍ عيشٍ كما لا أشتهي غَرَضا**

**لكنّني قد حَلبتُ الدّهرَ أشْطُرَهُ فما يَراني لخطبٍ نابَ مُنقَبِضا**

**ألقى الحوادثَ بالصبرِ الجميلِ ومَقـ ـدورَ القَضاءِ بتسليمٍ لَه ورِضا**

**علمًا بتغييرِ أحوالِ الزمانِ فكم رأيتُ مُبرمَ أمرٍ عادَ مُنْتَقَضا**

ويكشف الشاعر عن قوته وصموده في مواجهة الدهر، فهو صامد بالصبر متحلٍّ بأعظم مراتبه، يقول[2]:

**وصفَ الصّبرَ لي جهولٌ بأمري فارغُ البالِ من هُمومِي وفِكري**

**مستريحٌ مَا قلبُهُ مثلُ قَلبِي لاَ ولاَ دهرُهُ ظَلومٌ كدَهرِي**

**مالَه بالهُمومِ عهدٌ ولا اضْطُرْ رَ إلى الصّبرِ باقْتِسَارٍ وقَهرِ**

**وأنا الدّهْرَ في خطوبِ زمانٍ أشربُ الصّبرَ فيه من حُسنِ صَبري**

**صارَ لي عادةً فلو ضَاقَ رحْبُ الـ ـأرضِ عنّي ما ضَاق بالصَّبرِ صَدْري**

ويشكو الشاعر ألم الدهر وظلمه وكيف أصابه بالهموم والأحزان، وفي المقابل يكشف عن صبره الذي اختاره طريقًا يسلكه، فهو الطريق الوحيد الذي رأى فيه النجاة من مواجهة الدهر.

ويصف الشاعر أثر خطوب الدهر والأيام في قوته وهمته، حيث أضعفته، وفلّت حدّ عزمه، يقول[3]:

**أوهَتْ خطوبُ الدهرِ من همَمِي وفلَّتْ حدَّ عَزمِي**

**ورَمَتْنِيَ الأيَّامُ عن قوسِي فأردتني بسَهمِي**

(١) أسامة بن منقذ، "ديوانه": ٢٨٨.

(٢) أسامة بن منقذ، "ديوانه": ١٢٧.

(٣) أسامة بن منقذ، "ديوانه": ٣٢٣.

وغـــدَا الـــذين بهـــم أُسَـــلْ لِـــي الهـــمَّ حـــين يُلِـــمُّ هَمِّـــي

والشاعر دائم الوصف لأثر الدهر في جسمه ونفسه، وكيف جعله كسير القلب، ضعيف القوى والقوة، يقول [١]:

أَبيـــتُ أرعَـــى كـــل نجـــمٍ يَـــسرِي كأنَّمـــا حَـــشِيَّتي مـــن جَمْـــرِ

كيـــفَ العـــزاءُ وصـــروفُ الـــدّهرِ تقـــرِفُ قَرحِـــي وتَهـــيضُ كَـــسرِي

كأنّهـــا تطلُبُنـــي بِـــوَترِ والـــصّبرُ لـــو خبِرتَـــهُ كالـــصّبرِ

يظهر الشاعر هنا ضعفه، وكيف أن الصبر مرّ لا يقوى عليه، ويستفهم عن حالته وصروف الدهر التي تزيد كسره النفسي الذي يحسه جراء ما ألمّ به.

وقد يستسلم الشاعر وينفد صبره أمام تقلبات الدهر، حيث لم يطق احتمالًا لكتم ما أصابه وتبدّل حاله إلا بالشكوى إلى الآخر لبثّ معاناته وما أحدثه الدهر به، يقول[٢]:

أنَـــا أشـــكُو إليـــكَ دهـــرًا لحَـــا عُـــو دي وأعـــرَاه فَهْـــوَ يَـــبْسٌ سَـــليبُ

وخُطوبًـــا رَمَـــى بهـــا حـــادِثُ الدَّهْـــ ـــــرِ سَـــوادي وكلُّهُـــنَّ مُـــصيبُ

أذْهَبَـــتْ تَالِـــدي وطـــارِفِيَ الطَّـــا ري فَـــضَاعَ المـــورُوثُ والمكـــسوبُ

فهْـــو شَـــطرانِ بـــين مـــصرٍ وبحـــرٍ ذَا غريـــقٌ فَـــيءٌ وذَا مَنهـــوبُ

ويقول متحسرًا على زمن ولّى ومضى، وكان زمنًا جميلًا لا يشبه وضعه الحالي؛ بل كان غريبًا عجيبًا كالغرّة التي تقع وسط سواد عظيم، ويعكس هذا عظم المصائب المتوالية التي تعرّض إليها الشاعر وكان الفرح فيها قليلًا[٣]:

واهًـــا لَـــهُ مِـــن زَمَـــنٍ وعُمُـــرِ مـــا كـــانَ إلّـــا غُـــرّةً فـــي الـــدَّهرِ

ومن جماليات أثر تجليات الدهر في شعره، قوله معبرًا عن تجربته التي تمخّضت عن معاناة وخبرة بالدهر وصروفه [٤]:

مُـــذ بـــصرّتْني تَجـــاريبي ونَبَّهَنـــي خُبْـــرِي بـــدهرِي فقـــدتُ العيـــشةَ الرّغَـــدَا

(١) أسامة بن منقذ، "ديوانه": ٦٨.

(٢) أسامة بن منقذ، "ديوانه": ٢١٣.

(٣) أسامة بن منقذ، "ديوانه": ٦٨.

(٤) أسامة بن منقذ، "ديوانه": ٣٢٨.

**كـــأنَّني كنـــتُ فـــي حُلْـــمٍ فـــأيقظَني خَـــوْفي وآلَـــى علـــى جفنـــيَّ لا رقَـــدَا**

وتوجّه الشاعر إلى مخاطبة (الآخر) ممثّلًا في الممدوح، مستندًا إليه في مواجهة الدهر وصروفه، راجيًا منه الوقوف معه، ومساعدته بالعطايا نتيجة ما فقده من ثروته التي ضاعت بعد عناء وغربة، وكان غالبًا الملك الصالح، الذي جمعت بينهما مودة واحتـرام، وكانـت القصائد بينهما متبادلة والسؤال من الملك والرد من الشاعر، يقول [١]:

**يـــا مُنقِـــذي ويـــدُ الزَّمـــانِ تَنُوشُـــني ومُقيـــلَ جَـــدّي وهْـــو كـــابٍ عـــاثِرُ**

**حتّـــامَ أنـــتَ لِثِقْـــلِ هَمّـــي حَامـــلٌ ولمـــا يهـــيضُ الـــدّهرُ منّـــي جَـــابِرُ**

صوّر الممدوح جابرًا لعثرات الدهر، جابرًا لكسراته التي أحدثها فـي نفـسه؛ بـل وحاملًا للهموم العِظام التي أحدثها الدهر، ومدح الآخر بوقوفه في وجه الدهر، وجعله فـي زمنه باسمًا ضاحكًا على غير عادته، يقول [٢]:

**إذا أُنْـــشِدَتْ فـــي مَحفِـــلٍ قـــالَ ســـامِعٌ أنَفْثَـــةُ سِـــحرٍ أم رُقـــىً وتمـــائمُ**

**ولـــولا رجـــاءُ الـــصَّالحِ المَلِـــكِ الّـــذي بدولَتِـــهِ الـــدَّهرُ المقَطِّـــبُ باسِـــمُ**

ويعمد الشاعر إلى مدح الممدوح بالوقوف مع (الآخر) ومساعدته وفق ما يحتاجـه، ودفع صروف الدهر، والاستعانة بقوة الممدوح من غنى وسلطة لمواجهة الدهر وصـروفه، بتبديل الفقر إلى غنى، ومن ذلك قوله[٣]:

**حمَـــى ذَوِيـــه وكـــم مـــن بَاســـطٍ ليـــدٍ لـــولا حمـــاهُ وكـــم مـــن فـــاغرٍ لِفَـــمِ**

**وذادَ عـــنهُم صـــروفَ الـــدّهرِ إذ كَلِبَـــت علـــيهِمُ وهُـــمُ لحـــمٌ علـــى وَضَـــمِ**

ولأسامة قصيدة يوجّهها إلى الممدوح طالبًا مساعدته من جور الزمن وتقلّباته، شاكيًا له فعل الزمن فيه، حيث لحت نوائبه جسمه وشتّت شمله، ومازال مستمرًا في ذلك، ولـيس هناك من يوقفه عن ذلك إلا وقوف الممدوح مع الشاعر، الذي يرجو أن يُحقّق ما افتقده من غنى وعدل، يقول[٤]:

**يـــا أيهـــا الملِـــكُ المـــوفِي بِذِمَّتِـــهِ ومـــن تَجلَّـــى عـــن الـــدُّنيا بـــه الـــسَّدَفُ**

(١) أسامة بن منقذ، "ديوانه": ٢١٩.
(٢) أسامة بن منقذ، "ديوانه": ٢٧٧.
(٣) أسامة بن منقذ، "ديوانه": ٢٤٤.
(٤) أسامة بن منقذ، "ديوانه": ٢٣٠.

إليــكَ يــا عادلًــا فــي حكمِــه وعلــى أموالــه مــن قــضايَا جُــوده الجَنَــفُ
أشكُو زَمانًــا قــضَى بــالجَورِ فــيَّ ولــم يَــزَلْ يجــورُ علــى مِثلــي ويَعتــسفُ
لَحــت نوائبُــه عُــودِي وأَنْفَــدَ مَــوْ جُــودي وشــتّتَ شــملي وهــو مؤتَلِــفُ
وقــد دعوتُــكَ مظلومًــا ومُرتجيًــا وفــي يــدَيكَ الغِنَــى والعــدلُ والخَلَــفُ

وبعد استعراض تجليات الدهر في ديوان أسامة بن منقذ؛ يُلاحظ أثــره الفنــي فــي شعره، فقد أخرج صورًا بديعة عكس من خلالها أثره في نفسه وردة فعله تجاهــه؛ نتيجــة المؤثرات العديدة التي تعرّض لها خلال حياته.

وقد شكّلت المؤثرات العامة والخاصة في حياة الشاعر نظرته إلى الحيــاة، وكوّنــت نظرته للدهر وصروفه، والزمن وخطوبه، والليالي والأيام، وكانت نظرته للحياة مرتبطــة بواقعه الذي يعيشه، فقد مرّ بكثير من الخطوب والنوائب التي جعلته يرى في الدهر الظلــم والجور والغدر، وتضمّنت تجليات الدهر في ديوانه حزنه وألمه، وتأمله لحالــه، وتــذكّره لماضيه، وحنينه لأحبابه، وحسرته على نفسه وربطها بالدهر وصروفه.

**نتائج البحث:**

وبعد عرض الباحثة لتجليات الدهر في ديوان أسامة بن منقذ؛ يمكن رصد النتائج الآتية:

- شكّل الدهر وصروفه محورًا مهمًّا في ديوان أسامة بن منقذ.
- للمؤثرات العامة والخاصة التي مرّت في حياة أسامة بن منقذ أثر بارز في شخصيته وشعره.
- ظهرت تجليات الدهر وصروفه في ديوان أسامة نتيجة المؤثرات العامة والخاصة التي تعرّض لها خلال حياته.
- انعكاس الأثر النفسي لما يعانيه الشاعر من تقلّبات الدهر في شعره.
- برز الأثر الفني الجمالي في ديوان الشاعر خلال حديثه عن الدهر وصروفه، حيث أخرج صورًا بديعة عكست إبداعه في تصوير ما يعانيه.
- تضمّنت تجليات الدهر في ديوانه حزنه وألمه، وتأمله لحاله، وتذكّره لماضيه، وحنينه لأحبابه، وحسرته على نفسه وربطها بالدهر وصروفه.
- كان للحس المرهف والمشاعر الرقيقة التي تمتاز بها شخصية أسامة أثر جمالي في اختيار ألفاظه ومعانيه.
- تنوّع موقف الشاعر من الدهر بين: المواجهة، أو الاستسلام، أو الاستعانة بالآخر (الممدوح).

**المراجع:**


- ابن أبي سلمى، زهير. "ديوان زهير بن أبي سلمى". شرحه وقدّم له علي حسن فاعور، (بيروت– لبنان: دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م).
- ابن حجر، امرؤ القيس. "ديوان امرئ القيس". تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط٤، القاهرة: دار المعارف، د.ت).
- ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد. "وفيات الأعيان وأنباء أبناء أهل الزمان". حققه د.إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، د.ت).
- ابن زكريا، أبو الحسين أحمد بن فارس. "معجم مقاييس اللغة". تحقيق وضبط عبد السلام هارون، (القاهرة: دار الفكر،١٩٧٩م).
- ابن شداد، عنترة. "شرح ديوان عنترة الخطيب التبريزي". قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه مجيد طراد، (ط١، دار الكتاب العربي، ١٩٩٢م).
- ابن عمرو، تماضر. "ديوان الخنساء". شرحه ثعلب أبو العباس أحمد بن يحيى الشيباني النحوي، حقّقه د.أنور أبو سويلم، (القاهرة: دار عمار، ١٩٨٨م).
- ابن قميئة، عمرو. "ديوان عمرو بن قميئة"، عني بتحقيقه وشرحه وعلق عليه حسن كامل الصيرفي، (١٩٦٥م).
- ابن قيس، ميمون. "ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس". شرح وتعليق: د.محمد حسين، (القاهرة: مكتبة الآداب بالجماميز المطبعة النموذجية).
- ابن منظور، جمال بن مكرم. "لسان العرب". تحقيق اليازجي وآخرين، (ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ).
- ابن منقذ، أسامة. "المنازل والديار". (ط١، دمشق: المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، ١٩٦٥م).
- ابن منقذ، أسامة. "ديوان أسامة بن منقذ". حقّقه وقدّم له د.أحمد أحمد بدوي، وحامد عبد المجيد، (ط٢، عالم الكتب، ١٩٨٣م).
- أبو شامة، شهاب الدين المقدسي الدمشقي. "كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية". حقّقه وعلّق عليه إبراهيم الزيبق، (ط١، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٧م).
- تريعة، أشواق. "الرثاء في شعر أسامة بن منقذ". مجلة البدر بجامعة بشار٩، (٢٠١٨م): ١١٣٤.
- تريعة، أشواق. "الزهد في شعر أسامة بن منقذ". مجلة كلية الآداب واللغات جامعة بسكرة ٢٥، (٢٠١٩م): ٣٤١.

- الحوراني، محمد عيسى. "الدهر في شعر ابن الرومي". (عمان –الأردن: دروب للنشر والتوزيع، ٢٠١٦م).
- الختاتنة، حمزة عبد السلام سلام. "تجليات الدهر وصروفه في شعر الأعمى التطيلي". مجلة الجامعة الإسلامية بماليزيا٢ (٢٠٢٣م): ٢٠٤.
- خليل، لؤي علي. "الدهر في الشعر الأندلسي (من المحتوى العقدي إلى البنية الشعرية): دراسة في تحوّل المعنى". حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية بجامعة الكويت٢٦، (٢٠٠٥م).
- ديوان ابن الرومي: تحقيق حسين نصار، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، ط٣، ٢٠٠٣.
- الشمري، ثائر سمير. "الشيب في الشعر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري". (ط١، مؤسسة دار الصادق الثقافية، ٢٠١٤م).
- الصفدي، صلاح الدين. "الوافي بالوفيات"، تحقيق واعتناء: أحمد الأرناؤوط وآخرين، (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي،٢٠٠٠م).
- العشماوي، محمد زكي. "موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي"، (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨١م).
- محمد، نادية عبد الرحمن. "ثنائية المكان والحنين في شعر ابن منقذ في كتابه (المنازل والديار)". مجلة الدراسات العربية بكلية دار العلوم جامعة المنيا٤٠، (٢٠١٩م): ١٠٨١.
- يوسف، حسني عبد الجليل. "الإنسان والزمان في الشعر الجاهلي". (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٨م).


**المراجع المرومنة:**


- abn 'abi salmaa, zuhayr. "diwan zuhayr bin 'abi salmaa". sharhah wqddm lah eali hasan faewr, (birut- lubnan: dar alkutub aleilmiati, ١٩٨٨ma).
- abn hajara, amraw alqaysi. "diwan amri alqaysi". tahqiq muhamad 'abu alfadl 'iibrahim, (ti٤, alqahirata: dar almaearifi, da.ta).
- abn khalkan, shams aldiyn 'ahmad bin muhamad. "wfiat al'aeyan wa'anba' 'abna' 'ahl alzamani". haqaqah da.'iihsan eabaas, (birut: dar sadr, di.ta).
- abn zakaria, 'abu alhusayn 'ahmad bin faris. "muejam maqayis allughati". tahqiq wadabt eabd alsalam harun, (alqahirata: dar alfikri,١٩٧٩mi).
- abn shadadi, eantarata. "shrh diwan eantarat alkhatib altabrizi". qddm lah wawade hawamishih wafaharisah majid taradi, (ta١, dar alkitaab alearabii, ١٩٩٢ma).

- abn eamrw, tumadru. "diwan alkhinsa'i". sharhuh thaelab 'abu aleabaas 'ahmad bin yahyaa alshaybanii alnahwii, hqqqh du.'anwar 'abu suaylmi, (alqahirata: dar eamar, ١٩٨٨ma).
- abn qamayyata, eamru. "diwan eamriw bn qamiyata", eaniy bitahqiqih washarhih waealaq ealayh hasan kamil alsayrfi, (١٩٦٥ma).
- abn qaysi, mimun. "diwan al'aeshaa alkabir mimun bin qis". sharh wataeliqu: du.muhamad husayn, (alqahirati: maktabat aladab bialjamamiz almitbaeat alnamudhajiati).
- abn manzurin, jamal bin mukrama. "lisan alearab". tahqiq alyazji wakhrin, (ta٣, birut: dar sadir, ١٤١٤h).
- abn munqadhi, 'usamata. "almanazil waldiyar". (ta١, dimashqa: almaktab al'iislamii liltibaeat walnashri, ١٩٦٥ma).
- abn munqadhi, 'usamata. "diwan 'usamat bn munqidhin". hqqqh wqddm lah da.'ahmad 'ahmad badway, wahamid eabd almajid, (ti٢, ealim alkutub, ١٩٨٣ma).
- 'abu shamat, shihab aldiyn almaqdisii aldimashqi. "ktab alrawdatayn fi 'akhbar aldawlatayn alnuwriat walsalahiati". hqqqh wellq ealayh 'iibrahim alzaybaqa, (ta١, muasasat alrisalati, ١٩٩٧ma).
- tarieatu, 'ashwaqi. "alritha' fi shier 'usamat bn munqidhin". Al-Badr Magazine, University of Bechar٩. (in Arabic) (٢٠١٨mi): ١١٣٤.
- tarieatu, 'ashwaqi. "alzuhd fi shaer 'usamat bn munqidhin". Journal of the Faculty of Arts and Languages, University of Biskra ٢٥. (in Arabic) (٢٠١٩mi):٣٤١ .
- alhurani, muhamad eisaa. "aldahr fi shaer abn alruwmii". (eaman -al'urduni: durub lilnashr waltawziei, ٢٠١٦mi).
- alkhitatinatu, hamzat eabd alsalam salam. "tajaliaat aldahr wasurufuh fi shier al'aemaa altitili". Journal of the Islamic University of Malaysia ٢. (in Arabic). (٢٠٢٣mi): ٢٠٤.
- khalil, luay ealay. "aldahr fi alshier al'andalusii (man almuhtawaa aleaqdii 'iilaa albinyat alshieriati): dirasat fi thwwl almaenaa". Annals of Arts and Social Sciences, Kuwait University ٢٦. (in Arabic). (٢٠٠٥mu):٢٢.
- diwan abn alruwmi: tahqiq husayn nasari, matbaeat dar alkutub walwathayiq alqawmiati, ta٣, ٢٠٠٣.

- alshamriu, thayir samira. "alshiyb fi alshier aleabaasii hataa nihayat alqarn alraabie alhijrii". (ta١, muasasat dar alsaadiq althaqafiati, ٢٠١٤mi).
- alsafadi, salah aldiyn. "alwafi balufyati", tahqiq waetina'a: 'ahmad al'arnawuwt wakhrin, (ta١, bayrut: dar 'iihya' alturath alearabii,٢٠٠٠mu).
- aleashmawi, muhamad zaki. "mawqif alshier min alfani walhayat fi aleasr aleabaasi", (birut: dar alnahdat alearabiati, ١٩٨١mu).
- muhamadu, nadiat eabd alrahman. "thnayiyat almakan walhanin fi shier abn munqidh fi kitabih (almanazil waldiyar)". Journal of Arabic Studies, Faculty of Dar Al-Ulum, Minia University ٤٠. (in Arabic). (٢٠١٩mi): ١٠٨١.
- yusif, husni eabd aljalili. "al'iinsan walzaman fi alshier aljahilii". (alqahirati: maktabat alnahdat almisriati, ١٩٨٨mu).